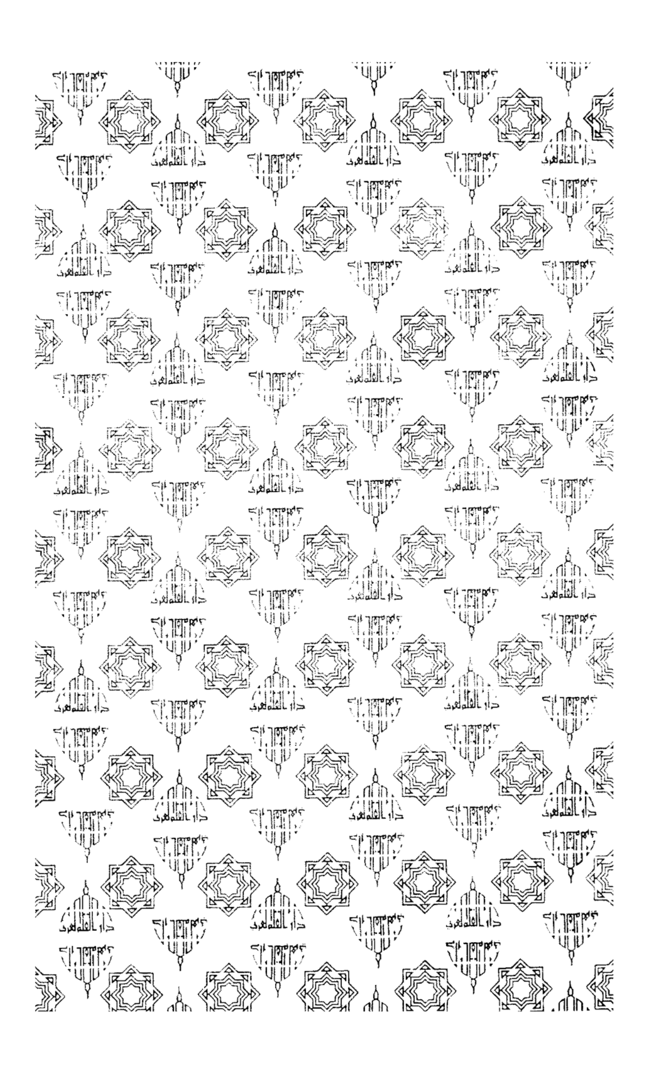
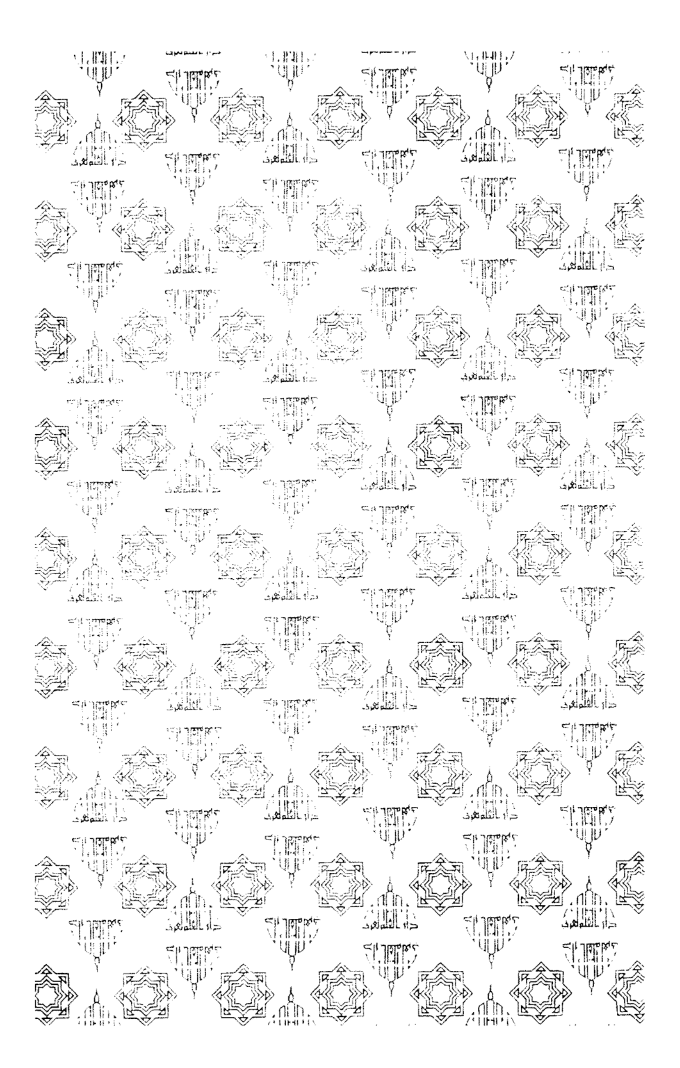
معارك عربية إسلامية خالدة

٣ - معركة أحد

٤ - معركة الخندق







معارك عربية خالدة

٣



اعداد

عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدِّينَ وضَحَّوا بأموالهم وأنفسِهم رخيصةً في سبيل الله ونيلِ عفوه ورضوانه ، فكانوا كما وصفَهمُ الحقُّ تباركَ وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ **رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قضى نَحْبَه ومنهم مَنْ ينتظرُ وما بدَّلوا تبديلاً** ﴾ .

وبعدُ :

فهذه رسالتي الثالثة من سلسلة (معارك إسلامية خالدة) بعد غزوة بدر ، وقد قمتُ فيها بالدراسة والتحليل بنفس الطريقة التي كتبتُ بها غزوة بدرٍ من خلال الكتابِ والسنة .

فأرجو الله عزّ وجلّ أنْ يجعلَ فيها الفائدةَ والنفعَ لكلِّ مُحِبٍّ لتراثِهِ الإسلاميِّ البطوليّ، الزاخرِ بالإنسانيةِ والبطولةِ، والتضحيةِ والفداء، والنُّبلِ والوفاء، والصدقِ والإخلاص.

ولا أقصدُ من كتابتي للمعارك إلاّ بيانَ هذه الخصائصِ والمزايا العظيمةِ في تراثنا العظيم وتاريخنا العريق، الذي نفخرُ به، ونرفعُ رؤوسَنا إباءً وشموخاً وعِزَّةً وكبرياءً، ﴿ولله العزّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ﴾.

﴿ربِّ اشرحْ لي صدري ويسِّرْ لي أمري
واحْلُلْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾

{ غزوة أحد }

أولاً - سببُ تسميتها :

سُمِّيتْ بغزوةِ أُحدٍ لأنَّها وقعتْ قربَ جبلِ أُحد في بطنِ الوادي ، وأُحُدٌ جبلٌ يقعُ إلى الشمالِ من المدينةِ المنوَّرةِ على بُعْدِ خمسةِ كيلومتراتٍ تقريباً .

قال السهيليّ : سُمِّي بذلك لتوحُّده وانقطاعِه عن جبالٍ أخرى هناك .

وهو يحبُّ المسلمين والمسلمون يحبُّونه ، روى البخاريُّ أنَّ رسول الله ﷺ قال عن جبلِ أُحدٍ : « هذا جبلٌ نحبُّه ويُحبُّنا » .

وقال أيضاً فيما رواه الإمام أحمد : « أحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه ، وهو من جبالِ الجنَّةِ » .

ثانياً ـ زمانُها :

وقعتْ صبيحةَ يومِ السبتِ من شهرِ شوَّال السنةَ الثالثة للهجرةِ .

ثالثاً ـ أسبابُها :

لغزوةِ أُحُدٍ أسبابٌ كثيرةٌ أهمُّها :

ثأرُ المشركين لقتلى بدرٍ ، وإعادةُ اعتبارهم ، واستردادُ كرامتِهم إثْرَ هزيمتِهم المنكَرةِ في أوَّلِ جولةٍ مع المسلمين ، إذْ أحسُّوا بفقدِ هيبتهم ، وشعروا بذهابِ رِيحِهم وضعفِ مركزِهم بين قبائلِ العربِ ، فجعلَ بعضُهم يؤنِّبُ بعضاً على الهزيمةِ ، ويحرِّض على القتالِ ، كما جعلتِ النساءُ يحرِّضنَ الرجالَ على الثأرِ والانتقام، الأمرُ الذي جعل قريشاً لا يهدأُ لها بالٌ ، ولا تشعرُ براحةٍ ولا نومٍ قبل الأخذِ بالثأرِ ، فكان زعيمُهم

أبو سفيانَ قد نذرَ ألاَّ يَمسَّ رأسَه ماءٌ ولا يغتسلَ من جنابةٍ حتى يغزوَ محمداً ﷺ ، فخرجَ في مئتي راكبٍ من قريشٍ ليبَرَّ بيمينه ، حتى نزل قريباً من المدينةِ ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضيرِ فقصدَ حُيَيَّ بنَ أخطبَ فأبى أن يستقبلَه ، فذهب إلى سلاَّمِ بن مِشْكم وكان سيِّدَ بني النضير وصاحبَ كنزِهم ، فاستأذن عليه فأذن له واستقبله وتآمرَ معه على حربِ رسول الله ﷺ ، ثم رجعَ أبو سفيانَ إلى أصحابه فبعثَ رجالاً من قريشٍ إلى المدينةِ ، فأتى مكاناً يقالُ له : العُريضُ ، فحرَقوا بعضَ النخيلِ ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرثٍ لهما فقتلوهما ثم انصرفُوا راجعين . فخرج رسول الله ﷺ في طلبِهم حتى بلغَ موضِعاً يقالُ له : قرقرةُ الكدرِ ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيانَ وأصحابُه ، فقال المسلمونَ حين رجعوا إلى المدينةِ :

يا رسول الله أتطمعُ لنا أن تكونَ غزوةٌ ؟ قال : نعم ..

وهذه الغزوةُ الصغيرةُ تُسمَّى غـزوةَ السَّـويق ، لأنَّ أكـثرَ مـا طـرح القـومُ مـن أزوادِهـم السَّـويقُ وهـو أن تُحمَّصَ الحنطـةُ أوالشـعيرُ ، ثـم تُطحـنَ وتُمـزجَ بـاللبنِ والعسلِ والسمنِ ، ويسافَرُ بها .

تحريضُ المشركين

جاء عبدُ الله بنُ أبي ربيعةَ ، وعِكرمةُ بنُ أبي جهلٍ ، وصفوانُ بنُ أميَّةَ - وهمُ الذين كانوا أشدَّ الناسِ تحمُّساً وأكثرَهم تحريضاً على حرب رسول الله ﷺ - جاؤوا ومعهم رجالٌ من قريشٍ ممن قُتل آباؤهم وأبناؤهم وإخوانُهم يومَ بدرٍ ، فكلَّموا أبا سفيانَ بنَ حربٍ ومَنْ كانت له في تلك العِيْرِ من قريشٍ تجارةٌ ، فقالوا : يا معشرَ قريش ، إنَّ محمداً قد وَترَكم ، وقتل خيارَكم ، فأعينونا بهذا المالِ على حربه ، فلعلَّنا ندركُ منه ثأرَنا بمَن أصابَ مِنَّا ، ففعلوا فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ فيهم قولَه : ﴿ **إنَّ الَّذين كفرُوا يُنفقونَ أموالَهُم ليَصُدُّوا عن سبيلِ اللهِ فسيُنفقونَها ثمَّ تكونُ عليهِم حسرةً ثمَّ يُغلَبون والَّذين كفروا إلى جهنَّمَ**

يُحشَرونَ﴾[1]، وذلك أنَّ قريشاً باعتْ بضاعتَها وكانتْ ألفَ بعيرٍ ، وكان ربحُهم فيها وفيراً ، فسخَّروا منه قسماً كبيراً يستعينونَ به على القتالِ ، وراحوا يُعِدُّون عُدَّتَهم ، ويَحشُدونَ بأسَهم ، ويجمعونَ الأحابيشَ ليثأروا لأنفسِهم ولشرفِهم ولقتلاهُم ، فبعثوا عمرَو بنَ العاص ، وهُبيرةَ بنَ أبي وهْبٍ ، وابنَ الزِّبعرَى إلى قبائل العربِ يستنفرونَها لقتالِ رسولِ الله ﷺ ، وكان الشِّعرُ يفعلُ بالعرب ويؤثِّرُ فيهم أكثرَ من تأثير قلمِ الدِّعايةِ والإعلام .

وكان أبو عزَّة عمرُو بنُ عبد الله الجُمحيُّ الذي مَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ وأطلقه يومَ بدرٍ شاعراً ، فجاءهُ صفوانُ بنُ أميّةَ ، فقال له : يا أبا عزَّة إنك امرؤٌ شاعرٌ،

---

[1] الآية ٣٦ من سورة الأنفال .

فأَعِنّا بلسانك فاخرجْ معنا .

فقال : إنَّ محمداً قد منَّ عليَّ ، فلا أريد أن أُظاهرَ عليه .

قال : بلى فأعنّا بنفسِك ، فلك اللهُ عليَّ إن رجعتَ أن أُغنيَك ، وإن أُصبتَ أن أجعلَ بناتِك مع بناتي يصيبُهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ ويُسرٍ .

فخرج أبو عزّةَ في تهامة يدعو بني كنانة ويقول :

أيا بني عبدِ مناة الرُّزّامِ أنتم حماةٌ وأبوكم حامِ
لايعدوني نصرُكم بعد العامِ لا تسلموني لا يحلُّ إسلامِ

الرُّزَّامُ : جمعُ رزامٍ ، وهو الذي يصمدُ ولا يَدَعُ مكانَه .. يريدُ أنَّهم يَصمُدُونَ في القتالِ ولا يهربون .

وخرجَ مسافعُ بنُ عبد منافٍ إلى بني مالكِ بنِ كنانةَ يحرِّضُهم ويدعوهم إلى قتالِ رسولِ الله ﷺ ، فقال :

يـا مالِ مالِ الـحسـبِ الـمقـدَّمِ انشـدوا القربى وذا التـذمُّـمِ
مَنْ كانَ ذا رَحِمٍ ومَنْ لم يرحمِ الحلفَ وسْطَ البلـدِ المحـرَّمِ
عندَ حطيمِ الكعبـةِ المعظَّـمِ

ذو الذِّمم : الذي له ذمامٌ أي عهدٌ .

وهذا جبيرُ بنُ مطعمٍ قُتِلَ عمُّـه طعيمـةُ بـنُ عـديٍّ يومَ بدرٍ ، يُحرِّضُ عبداً له واسمُهُ وحشيٌّ ، ويَعِدُه بأغلى وأثمنِ ما يحلُـمُ بـه عبـدٌ رقيـقٌ ، إنْ هـو قتـلَ حمـزةَ عـمَّ رسولِ الله ﷺ ، وكانَ وحشـيٌّ يقـذفُ بالحربـةِ قـذفَ الحبشةِ قلَّما يُخطئُ بهـا ، فقـال لـه جبـيرُ بـنُ مطعـمٍ : اُخرجْ مع الناسِ ، فإنْ أنتَ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمي طعيمةَ بنِ عديٍّ فأنتَ عتيقٌ .

وهـذه هنـدُ بنـتُ عتبـةَ زوجُ أبـي سـفيانَ ، الـتي كانتْ من أشـدِّ النـاسِ حماسـةً وأكـثرهم تحريضـاً علـى قتالِ المسلمينَ ، ثأراً لابنها وأبيها وعمِّها وأخيهـا ، مِـنْ

أجل هذا اتّصلتْ بوحشيٍّ وجعلتْ تُحرِّضُه على قتلِ حمزةَ ، ووعدتْه بأغلى وأثمنِ ما تملِكُه المرأةُ من زينةٍ وحُلِيّ ، وقالتْ له : كلُّ هذا لكَ إنْ أنتَ قتلتَ حمزةَ . وكانتْ كلّما مرَّتْ به أو مرَّ بها تقولُ : ويهاً أبا دَسْمةَ اشفِ واستشفِ . وكان وحشيٌّ يكنّى أبا دسمة ، و (ويها) كلمةٌ يرادُ بها الحثُّ والتحضيضُ .

وأصرَّتِ النسوةُ من قريشٍ على أن يخرجنَ مع المقاتلينَ ، فتشاورَ القومُ ، فمنهم من أيَّدَ خروجهنَّ ، ومنهم من عارضه ، فصاحتْ هندُ بنتُ عتبةَ بمن يعترضُ ، وقالت : إنّكَ ـ واللهِ ـ سلمتَ يومَ بدرٍ فرجعتَ إلى نسائكَ ، نعم .. نخرجُ فنشهدُ القتالَ ولا يردُّنا أحدٌ كما رُدَّتِ الفتياتُ يومَ بدرٍ ، فقُتِلَ الأحبّةُ يومئذٍ أنْ لم يكنْ معهم من يحرِّضُهم . فاتفقَ القومُ على خروجهنَّ ، فخرجَ منهنّ خَمْسَ عشْرةَ

امرأةً مع أزواجهنّ على رأسهنّ هندُ بنتُ عتبةَ يبكينَ قتلى بدرٍ ، ويحرِّضْنَ الرجالَ على القتالِ وعدمِ الفرار .

هذا ولا ننسى الدورَ القَذِرَ الذي قامَ به المنافقون - وهم الذينَ يُظهرونَ الإيمانَ ويبطنونَ الكفرَ - ليصِلوا إلى غايتِهم للغدرِ بالمسلمينَ وتصفيتِهم والقضاء عليهم .

فهذا أبو عامر الراهبُ يخرجُ في خمسينَ رجلاً مع قريشٍ ، ويَعِدُهم أنَّ قومَه سينضمُّونَ إليه ويتركونَ المسلمينَ حالَما يرونه ، ولكنَّ الله خذلَه ، فعندما حاولَ أن يردَّ الأنصارَ ويمنعَهم من نُصرةِ رسولِ الله ﷺ وناداهم : يا معشرَ الأنصارِ ، أنا أبو عامر .

فقالوا : لا أنعمَ الله بكَ عيناً يا فاسقُ .

فلمّا سمعَ ردَّهم قال : لقد أصابَ قومي بعدي شرٌّ . ثم تراموا معه بالحجارةِ ساعةً حتى انصرفَ، وكان أبو عامر يسمّى في الجاهلية الراهبَ،

فسمّاه رسولُ الله ﷺ الفاسقَ .

وهذا عبدُ الله بنُ أبيّ بنِ سلولٍ رأسُ المنافقينَ ، الذي لا يزالُ يداعبُه الأملُ أن يُتوَّجَ مِلكاً على الأوسِ والخزرجِ ، ويتربَّعَ على عرشِ المدينةِ ليتمكَّنَ من القضاءِ على المسلمينَ ، ومعه فريقٌ على شاكلتِه من المنافقين .

كما أنَّ هناكَ اليهود الذينَ ينتظرونَ من يؤيِّدُهم ويعينُهم على المسلمينَ ، ليستردُّوا سيطرتَهم وسلطانَهم في الجاهلية .

كلُّ هذا التحريضِ والتأليبِ ، وحشدِ القوةِ ، والتبرُّعِ بالمال ، وجمعِ الرجال ، وخروجِ النساءِ من جانبِ قريشٍ من جهةٍ ، وتآمرِ المنافقين واليهودِ مع المشركينَ من جهةٍ أخرى ، كانَ عاملاً قويّاً ومشجِّعاً لدفعِ القرشيين إلى القتالِ ، بعد أنِ اجتمعَ لهم ما يقاربُ ثلاثةَ آلافِ رجلٍ ، معظمُهم من أهلِ مكةَ بينهم مائةُ

رجلٍ من ثقيفٍ ، مُدَجَّجينَ بالعتادِ والسلاح ، ومعهم مائتا فرَس وثلاثةُ آلافِ بعيرٍ ومن بينهم سبعمائةِ دارعٍ.

وانطلقوا نحوَ المدينةِ فلمّا وصلوا الأبواءَ أشارتْ عليهم هندُ بنتُ عتبةَ أن ينبشوا قبرَ أمِّ رسولِ الله ﷺ ، فقال بعضُهم : لا يُفتَحُ هذا البابُ ، وإلاّ نَبَشَ بنو بكرٍ موتانا .

وتابعوا مسيرَهم حتى نزلوا بعينينِ جبلٍ ببطنِ السَّبْخةِ من قناةٍ على شفيرِ الوادي مقابلَ المدينة .

رؤيا رسولِ الله ﷺ

وكانَ اليهودُ والمنافقونَ قد أرجفوا في المدينةِ ، حتى انتشرَ الخبرُ فيها ، وقدِمَ عمرُو بنُ سالم الخُزاعي في نفَرٍ ليُخبرَ رسولَ الله ﷺ ، وكانَ رسولُ الله ﷺ قد رأى رؤيا ليلةَ الجمعةِ ، فلمّا أصبحَ واجتمعَ الناسُ عليه قال لهم : « أيها الناسُ إني رأيتُ في منامي رؤيا ، رأيتُ كأنّي في درعٍ حصينةٍ ، ورأيتُ كأنَّ سيفي انقسمَ من ظُبَتِه[1]، ورأيتُ بقراً تُذبَحُ ، ورأيتُ كأنّي مردفٌ كبشاً .

فقالوا : يا رسول الله ، فما أوّلتَها ؟

قال : أمّا الدرعُ الحصينةُ فالمدينةُ فامكثوا فيها، وأمّا انقسامُ سيفي من عند ظُبَتِه فمصيبةٌ في نفسي ،

---

[1] الظُّبَةُ ـ بالتخفيف ـ : حدُّ السيفِ ، والجمعُ ظباتٌ .

وأمّا البقرُ المذبَّحُ فقتلى في أصحابي ، وأمّا أنّي مردفٌ كبشاً فكبشُ القبيلة نقتلُه إن شاءَ الله » .

وفي روايةٍ : « وأمّا انقسامُ سيفي فقتلُ رجلٍ من أهلِ بيتي » .

مشاورةُ رسولِ الله ﷺ أصحابَه

ثم قال لأصحابه : « وإنْ رأيتُم أنْ تقيموا بالمدينةِ وتَدَعوهم حيث نزلوا ، فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مقامٍ ، وإنْ هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها فإنّا أعلمُ بها منهم » .

وكانَ المسلمونَ قد حصّنوا المدينةَ بالبنيانِ من كلِّ ناحيةٍ حتى أصبحتْ كالحصن ، فقالَ بعضُ أصحابه ممّنْ فاتَه شرفُ الاشتراكِ في القتالِ يومَ بدرٍ : يا رسولَ الله ، اُخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يرونَ أنّا جُبُنّا عنهم وضَعُفْنا ، فيكونَ ذلك جراءةً علينا .

وقال عبدُ الله بنُ أبيّ بن سلولٍ : يا رسول الله ، أقمْ بالمدينةِ لا نخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطُّ إلاّ أصابَ منّا ، ولا دخلَها علينا إلاّ أصبْنا منه ، فدَعْهم يا رسولَ الله، فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مَحْبسٍ ، وإنْ دخلوا قاتلَهمُ الرجالُ في وجوههم ، ورماهمُ النساءُ والصبيانُ من فوقهم ، وإنْ رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا .

وأخذَ الناسُ يطلبونَ من رسولِ الله ﷺ ويُلحُّونَ عليه بالخروجِ حبّاً بلقاءِ العدوِّ ، ورغبةً بالقتال ، وطمعاً بالشهادةِ ، لدرجةِ أنَّ حمزةَ عمَّ النبيِّ ﷺ أضربَ عن الطعامِ ، وقال للنبيِّ ﷺ : والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ لا أُطْعَمُ طعاماً حتى أُجالدَهم بسيفي خارجَ المدينةِ .

وقال نعيمُ بنُ مالك : يا نبيَّ الله ، لا تحرمْنا الجنّةَ، فوالذي نفسي بيده لأدخُلَنَّها .

فقال رسولُ اللهِ ﷺ : بِمَ ؟

قال : بأنّي أُحبُّ اللهَ ورسولَه ، ولا أَفِرُّ يومَ الزحفِ .

فقال النبيُّ ﷺ : صدقتَ . فاستُشهدَ يومئذ .

ولكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ الذي كانَ ينظرُ بنور اللهِ رأى أن الخروجَ هو المقدورُ ، سيّما وقد أكّدتِ رؤياه الصادقةُ ذلك ، فغادرَ أصحابَه وبيتَه ، ثم لبس لأْمتَه[1] وخرجَ عليهم ، وكان بعضُ المسلمينَ قد ندموا على ما بَدرَ منهم، فقال لهم سعدُ بنُ معاذٍ وأُسيدُ بنُ حضيرٍ: استكرهتُم رسولَ اللهِ ﷺ على الخروج والوحيُ ينزلُ عليه من السماءِ ، فرُدُّوا الأمورَ إليه .

فقالوا : يا رسولَ اللهِ ، استكرهناك ولم يكنْ

---

[1] اللأمةُ : عُدَّةُ الحرب .

ذلك لنا ، فإنْ شئتَ فاقعدْ صلَّى اللهُ عليك .

فقال لهم : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبسَ لأْمَتَه أنْ يضعَها حتى يُقاتلَ » .

فأجمعوا رأيَهم على الخروجِ وعدمِ مخالفةِ رسولِ الله ﷺ الذي وعظَهم ودعا لهم ، وأمرَهم بالجدّ والاجتهادِ ، وأخبرَهم أنَّ النصرَ لهم ما صبروا وأطاعوا اللهَ والرسولَ .

عقدُ رسولِ الله ﷺ الألويةَ

وعقدَ رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ ألويةٍ ، لواءً للأوسِ وأعطاهُ لأُسيدِ بنِ حضير ، ولواءً للمهاجرينَ وأعطاهُ لمصعب بنِ عميرٍ - لأنّه من بني عبد الدّار وهم حَمَلةُ اللواء - ، ولواءً للخزرجِ وأعطاه للحُبابِ بنِ المنذر وقيل : لسعدِ بن عبادة ، واستعملَ على المدينةِ ابنَ أُمِّ

مكتومٍ ليصلّيَ بالناس ، ثمّ انطلقَ بالمسلمينَ وعددُهم ألفٌ بعد صلاةِ العصرِ من يومِ الجمعةِ ، وفيهم مائةُ دارعٍ وفَرَسان ، أحدُهما لرسولِ الله ﷺ ، والآخرُ لأبي بردةَ بنِ نيار .

وخرجتِ النسوةُ لمداواةِ الجرحى ، وسَقْيِ العطشى ، والاشتراكِ في القتالِ إذا لزمَ الأمرُ .

فالإسلامُ لا يمنعُ المرأةَ من المشاركةِ في الحربِ بما يليقُ بحالها ، ويتناسبُ مع وضعها ، بل ومن حملِ السلاحِ ، والاشتراكِ الفعليِّ في القتالِ إنْ دَعَتِ الحاجةُ، كما فعلتْ أمُّ عمارةَ حيثُ حملتِ السلاحَ ووقفتْ تدافعُ عن رسولِ الله ﷺ مع المدافعين عنه ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

انسحابُ المنافقين

وتابعَ المسلمونَ مسيرَهم فإذا هم بكتيبةٍ خشناءَ ، فقال رسولُ الله ﷺ : مَنْ هؤلاء ؟

قالوا : عبدُ الله بنُ أبيّ في ستمائةٍ من مَواليه من اليهود .

فقال : وقد أسلموا ؟

قالوا : لا يا رسولَ الله .

قال : مُرُوهم فلْيرجعوا، فإنّا لا نستعينُ بالمشركينَ على المشركين .

وإنّما فعلَ رسولُ الله ﷺ ذلكَ لأنَّها معركةٌ في سبيل الله ، والعملُ فيها خالصٌ لوجه الله تعالى ، ليس هدفُه إحرازَ النصرِ وحَوْزَ الغنائمِ ، إنّما هدفُه الأولُ والأخيرُ إرضاءُ اللهِ تباركَ وتعالى ، وتنفيذُ أمرِه ، ونشرُ

دينه ولو كرهَ الكافرونَ ، هذا ما أراده رسولُ الله ﷺ، وعاهدهُ عليه أصحابُه الذين أَلَحُّوا عليه بالخروج ، وبايعوه على الموتِ ، وحينَ رأى المنافقونَ ـ وعلى رأسهم زعيمُهم عبدُ الله بنُ أبيّ بنِ سلولٍ ـ أنَّ المسلمينَ جادُّونَ في الخروجِ ، وأنَّ القتالَ واقعٌ حتماً انخذلوا وانسحبوا من صفوفِ المسلمين ، وكانوا يُشكِّلونَ ثُلُثَ الجيش ، وقال زعيمُهم عبدُ الله بنُ أبيّ: أطاعهمْ وعصاني ! ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيها الناسُ !! فرجعَ بِمَنِ اتَّبعه من قومه من أهلِ النِّفاق والرِّيبِ .

فأتْبعهم عبدُ الله بنُ عمرِو بن حَرَام ، وقال لهم : يا قومِ أذكِّرُكمُ الله ألاّ تخذلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حضرَ من عدوِّهم .

فقالوا : لو نعلمُ أنَّكم تقاتلونَ لَمَا أسلمناكم ،

ولكنّا نرى أنه لا يكونُ قتالٌ ..

فلمّا أَبَوا إلاّ الانصرافَ ، قال : أبعدَكمُ الله أعداءَ اللهِ ، فسيُغني الله عنكم نبيَّه .

ما نزلَ من القرآن الكريم في المنافقينَ

وإلى انسحابِ المنافقينَ هذا يشيرُ قولُه تعالى : **﴿ ولِيَعلمَ الذينَ نافقوا وقيلَ لهم تعالَوا قاتلوا في سبيلِ اللهِ أوِ ادْفعوا قالوا لو نعلمُ قتالاً لاتّبعناكم هم للكُفرِ يومئذٍ أقربُ منهم للإيمان يقولونَ بأفواههم ما ليسَ في قلوبِهم والله أعلمُ بما يكتمونَ ﴾**[1] يعني أنهم كاذبونَ، لأنَّ وقوعَ القتالِ أمرُه ظاهرٌ بيِّنٌ واضحٌ لا خفاءَ فيه ولا شكّ .

---

[1] الآية ١٦٧ من سورة آل عمران .

هذا وكان أصحابُ رسـولِ الله ﷺ قـد أصبحـوا بشأن المنافقين فرقتين : فرقـةٌ تقـول : نقـاتلُهم ، وفرقـةٌ تقولُ : لا نقاتلُهم ، فأنزل الله عزّ وجلَّ قولَه : ﴿ **فما لَكمْ في المنافقينَ فئتينِ والله أركسَهم بما كَسَبوا أتُريدونَ أنْ تَهْدوا مَنْ أضلَّ الله ومَنْ يُضْلِلِ الله فلن تجدَ له سبيلاً** ﴾[1] .

فلمّا رأى بنو سلمةَ وبنو حارثةَ عبدَ اللهِ بنَ أبيّ وجماعتَه قد رجعوا ، كادوا يتأثّرونَ بهم ويتّبعونهم لولا أنَّ الله عصمَهما وثبَّتهما ، وفيهم نزلَ قولُه تعالى : ﴿ **إذْ همَّتْ طائفتانِ منكم أن تفشلا والله وليُّهما وعلى اللهِ فلْيتوكَّلِ المؤمنونَ** ﴾[2] .

---

(1) الآية ٨٨ من سورة النساء .

(2) الآية ١٢٢ من سورة آل عمران .

يقول جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما : نزلتْ هذه الآيةُ فينا بني سلمةَ وبني حارثةَ ، وما أُحِبُّ أنَّها لم تنزلْ والله يقولُ : ﴿ والله وليُّهما ﴾ .

تسابقُ الغلمانِ إلى القتال

إنّه لَمِنْ دواعي الفخرِ والاعتزازِ أنْ يُسارعَ أطفالٌ من المسلمينَ إلى ساحةِ القتالِ ، وأنْ يتنافسوا فيه تنافساً مشرِّفاً لم يوجَدْ ولنْ يوجدَ مثلُه في دنيا الناسِ ، هذا التنافسُ ما هو إلاّ من ثمراتِ الإيمانِ الذي خالطَتْ بشاشتُه قلوبَهم ، وحوَّلَتْهم إلى آياتٍ في التضحيةِ والفداءِ والاستبسالِ لا تجدُ مثلَها في أرقى الأممِ حضارةً وأكثرِها وطنيّةً ، أطفالٌ دونَ خمسَ عشْرةَ سنةً جاؤوا يتسابقونَ للتطوُّعِ في القتالِ ، والاشتراكِ في المعركةِ

بإرادتِهم ومحضِ اختيارهم ، منهم : عبدُ الله بن عمرَ ابنِ الخطاب ، وأسامةُ بنُ زيدٍ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، والنعمانُ بنُ بشيرٍ ، ورافعُ بنُ خديجٍ ، وسَمُرةُ بنُ جندبٍ ، والبراءُ بن عازبٍ ، وعمرُو بنُ حزمٍ ، وأُسيد ابنُ ظُهيرٍ ، فردَّهم رسولُ الله ﷺ لصغرهم ، رحمةً بهم وشفقةً عليهم .

فقيلَ : يا رسولَ الله ، إنَّ رافعاً رامٍ . فأجازه .

فقال سمرةُ بن جندبٍ لزوجِ أمه : أجازَ رسولُ الله ﷺ رافعَ بنَ خديجٍ وردَّني ، وأنا أصرعُهُ .

فقيلَ لرسول الله ﷺ : إنَّ سمرةَ يصرعُ رافعاً .

فقال : تصارعا . فصرعَ سمرةُ رافعاً ، فأجازهُ رسولُ الله ﷺ .

ومضى رسولُ الله ﷺ حتى سَلَكَ في حَرَّةِ[1]

---

(1) الحَرَّةُ : أرضٌ ذاتُ حجارةٍ سوداء .

بني حارثة ، فـذبَّ فـرَسُ أبـي بـردةَ بذنبـه ـ حرَّكـه ـ فأصابَ كُـلاَّبَ سـيفه فاسـتلّه ، فقـال رسـولُ الله ﷺ لصاحبِ السيف متفائلاً : يـا صـاحبَ السـيفِ شِـمْ[1] سيفَك ، فإنّي أرى السيوفِ ستُسَلُّ فيكثرُ سَلُّها .

تعبئةُ الجيش

ثم قال لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا علـى القـومِ من كَثَبٍ[2] من طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم ؟

فقال أبو خيثمةَ : أنا يا رسـولَ الله ، فنفـذ بـه في حرَّةِ بـني حارثـةَ وبـين أموالِهـم ، حتـى سـلَكَ في مـالٍ لِمِرْبعِ بن قيظي ـ وكان رجلاً منافقاً قـد فقـد بصـرَه ـ

---

[1] شِمْ سيفَك : اِغمده .

[2] من كثَب : من قرب .

فلمّا سمع رسولَ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين قامَ يحثي في وجوههمُ الترابَ ويقولُ : إنْ كنتَ رسولَ الله فإنّي لا أُحِلُّ لكَ أن تدخلَ حائطي[1].

وقيلَ : إنَّه أخذَ حفنةً من ترابٍ في يده ثم قال : واللهِ لو أعلمُ أنّي لا أُصيبُ بها غيرَكَ يا محمدُ لضربتُ بها وجهَك .

فانقضَّ عليه القومُ ليقتلوهُ ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وكانَ سعيدُ بنُ زيدٍ قد وصلَ إليه قبلَ نهيِ رسولِ الله ﷺ ، فضربهُ بالقوسِ فشجَّه في رأسِه ، فغضبَ له ناسٌ من بني حارثةَ كانوا مثلَه من المنافقينَ لم يرجعوا معَ عبدِ الله بن أبيّ ، فهمَّ بهم أُسيدُ بنُ حضيرٍ ليضربَهم فأومأَ له رسولُ الله ﷺ بتركِ ذلك .

---

[1] الحائط : البستان .

ومضى رسولُ الله ﷺ في سبعمائةٍ من أصحابه حتى نزلَ الشِّعْبَ من أُحدٍ ، بعد أن جعلَ ظهرَه في عدوةِ الوادي إلى الجبل ، واستقبلَ المدينةَ ، وقال : لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتى نأمرَه بالقتالِ ، وبوَّأ كلَّ فريقٍ مكانَه ومشى يُسوِّي الصفوفَ ، وعيَّنَ خمسينَ رامياً لحمايةِ ظهر الجيش ، وأمَّرَ عليهم عبدَ الله بنَ جبيرٍ وهو معلَّمٌ بثيابٍ بيضٍ ، فقال لهم : « لا تبرحوا، إنْ رأيتمونا ظهرْنا عليهم فلا تبرحوا ، وإنْ رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا » .. وفي روايةٍ : « أُرشقُوهم بالنَّبْلِ ، فإنَّ الخيلَ لا تقدُمُ على النبل ، إنّا لنْ نزالَ غالبينَ ما ثَبُتُّم مكانَكم » ...وإلى هذا المشهدِ يشيرُ قولُه تعالى : ﴿ **وإذْ غدوتَ من أهلِكَ تُبوِّئُ المؤمنينَ مقاعدَ للقتالِ والله سميعٌ عليمٌ** ﴾[1].

---

[1] الآية ١٢١ من سورة آل عمران .

وهنا وقفَ رسولُ الله ﷺ وبيده سيفٌ ، فقال : « مَنْ يأخذُ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، منهم أبو بكر وعمرُ وعليٌّ والزبيرُ بنُ العوَّام ، فأمسكهُ عنهم، فقامَ أبو دجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ الأنصاريُّ ، فقال : وما حقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن تضربَ به العدوَّ حتى ينحنيَ . قال : أنا آخذُه بحقِّه يا رسولَ الله ، فأعطاه إياه » .

وكانَ أبو دجانةَ رجلاً شجاعاً يختالُ عند الحربِ، وكانَ من عادتِه أن يُعلِّمَ نفسَه بعصابةٍ له حمراء ، فلمّا أخذَ سيفَ رسولِ الله ﷺ أخرجَ عصابتَه الحمراءَ فعصبَ بها رأسَه ، وجعل يتبخترُ أمامَ المشركين يُريهم بأسَه وشجاعتَه وأنَّ سيفَ رسولِ الله ﷺ بيده قد أكرمهُ الله تعالى به ، وحين رآه رسولُ الله ﷺ يتبخترُ قال : «إنّها لَمِشيةٌ يُبغضُها الله إلاّ في مثلِ هذا الموطن».

وأخذ أبو دجانةَ ﷺ ينشد وهو يختال قائلاً :

أنا الذي عـاهدني خليلي ونحنُ بالسَّـفحِ لدى النخيـلِ
ألاّ أقومَ الدهرَ في الكبولِ أضربْ بسيفِ اللهِ والرسولِ

الكبـول : القيــود ، ويــروى : الكيّــول : وهــو مؤخِّرةُ الصفوف .

استعداد جيشِ المشركين

وعبّأتْ قريشٌ جيشها ، وتصافُّوا للقتالِ وهم ثلاثةُ آلافِ رجلٍ ، فجعلوا على ميمنةِ الخيل خالدَ بنَ الوليد، وعلى ميسرتِها عكرمةَ بنَ أبي جهل ، وعلى المشاةِ صفوانَ بن أميّة ، وحاملَ لوائهم طلحةَ بن أبي طلحة من بني عبد الدّار .

وأخذَ أبو سفيان يثيرُ حماسَ أصحابِ اللواء ، ويُحرِّضَهم على القتال ، ويُذكِّرُهم بيومِ بدرٍ ، فقال : يا بني عبدِ الدَّار ، إنّكم قد وُلِّيتُم لواءَنا يومَ بدرٍ فأصابَنا ما قد رأيتُم ، وإنّما يؤتَى الناسُ من قِبَلِ راياتِهم ، إذا زالتْ زالوا ، فإمّا أنْ تكفونا لواءَنا ، وإمّا أنْ تُخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهمُّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحنُ نسلِّمُ إليكَ لواءنا ؟! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيف نصنعُ!

وذلك الذي أراده أبو سفيان .

وكما أثارَ أبو سفيانَ حماسَ أصحابِ اللواءِ ، فقد أخذَتْ زوجُهُ هندُ بنتُ عتبةَ ومَن معها من النساءِ يُثِرْنَ حماسَ المشركينَ ، ويَضربْنَ بالدُّفوفِ خلفَ الرجالِ ، يُحرِّضْنَهم على القتال ، فقالتْ هندُ :

وَيْهاً بني عبد الدّارْ   وَيْهاً حُماةَ الأديارْ

ضرباً بكلِّ بتّارْ

وقالت أيضاً :

إنْ تُقبلوا نعانقْ   ونفرشِ النّمارقْ

أو تُدبروا نفارقْ   فراقَ غيرِ وامقْ

الوامقُ : المحبّ .

محاولاتٌ فاشلة

وحاولَ أبو عامر الراهبُ أن يصرفَ الأنصارَ عن نُصرةِ رسولِ الله ﷺ ، فناداهم : يا معشرَ الأنصارِ ، أنا أبو عامر .

قالوا : فلا أنعمَ الله بكَ عيناً يا فاسقُ .

فقال : لقد أصابَ قومي بعدي شرٌّ .. ثم ترامَوا معه بالحجارةِ ساعةً حتى ولّى .

كذلك حاولَ أبو سفيانَ ، فقال : يا معشرَ الأوسِ والخزرجِ ، خلُّوا بيننا وبين ابنِ عمِّنا ننصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ لنا بكم . فردُّوا عليه أقبحَ الردّ .

بدءُ القتال

المبارزة :

بعدَ محاولةِ أبي عامرٍ الراهبِ وأبي سفيانَ صرْفَ الأنصارِ عن رسول الله ﷺ بدأتِ المبارزةُ ، فقد خرجَ أحدُ فرسانِ المشركين على بعيرٍ له فدعا للبِرَازِ فأحجمَ عنه الناسُ ، حتى دعا ثلاثاً ، فبرزَ له الزبيرُ بن العوَّام ثم توثَّبَ عليه حتى استوى معه على ظهر البعيرِ ، وجعلا يقتتلان ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : الذي يلي حضيضَ الأرضِ مقتولٌ ، فسقطَ المشركُ فنزلَ عليه الزبيرُ فذبحه ، فهتفَ رسول الله ﷺ فرحاً وقال : « لكلِّ نبيٍّ حواريٌّ وإنَّ حواريَّ الزبيرُ » ، وقال : « لو لم يبرزْ إليه الزبيرُ لبرزتُ إليه » . لِمَا رأى من إحجامِ الناسِ عنه وتخوُّفِهم منه .

ثم برزَ طلحةُ بن أبي طلحةَ وكان حاملَ لواءِ المشركين ، فطلبَ المبارزةَ فلم يَبرُزْ إليه أحدٌ ، فقال مستهزئاً : يا أصحابَ محمدٍ ، زعمتُم أن قتلاكم إلى الجنةِ ، وأن قتلانا إلى النارِ ! فهل أحدٌ منكم يُعجلُني بسيفه إلى النارِ أو أُعجلُه بسيفي إلى الجنةِ ؟ كذبتُم واللّاتِ والعُزَّى ، لو تعلمون ذلك حقاً لخرجَ إليَّ بعضُكم .

فخرجَ إليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ فقتله ، ثم انصرفَ عنه ولم يُجهزْ عليه ، فقال المسلمون : أفَلا أجهزْتَ عليه ؟ قال : إنه استقبلَني بعورتِه فعطفَتْني عليه الرحمُ ، وعرفتُ أن الله قد قتله . ولقد فرحَ رسولُ الله ﷺ بمقتلِه فرحاً شديداً ، فإنه كبشُ الكتيبةِ - أي حاملُ لواءِ المشركين - والذي رآه رسولُ الله ﷺ في رؤياه .

وبرزَ سباعُ بنُ عبدِ العُـزَّى ، فـبرزَ إليـه حمـزةُ بـنُ عبد المطَّلبِ عمُّ رسول الله ﷺ ، فقال له : يا سـباعُ ، يا ابنَ مقطعةِ البُظـورِ ، أتُحـادُّ اللهَ ورسـولَه ؟ ثـم شـدَّ عليه فكان كأمسِ الذاهبِ،كما جاء في رواية البخاري.

ثم التحم الجيشان وثارَ النَّقْـعُ ، وحمـيَ الوطيسُ ، وتعانقتِ السيوفُ ، وأخـذتْ نسـاءُ المشـركين يضربْـنَ بالدُّفوفِ ، ويُـثرْنَ حمـاسَ القـوم ، والرسـولُ ﷺ يـردِّدُ دعاءَه : « اللهمَّ إني بك أَصولُ وأجولُ ، وفيك أقاتلُ ، حسبيَ اللهُ ونعـم الوكيـلُ » ، والمشـركون يتنـادَوْنَ بشعارِهم : يا لَلْعُزَّى .. يا لَهُبَل .

والمسلمون يتنادون بشعارهم : أَمِتْ . أَمِتْ .

صورٌ من بطولاتِ الصَّحابة

وفي خِضَمٍّ هـذه المعركـةِ بَـدَتْ مـن الصحابـةِ صـورٌ رائعةٌ وبطولاتٌ نادرةٌ ومواقفُ عظيمةٌ تفوقُ الخيالَ منهم:

١ ـ أبو بكرٍ الصدِّيقُ ﷺ :

فهذا الصِّدِّيـقُ ﷺ يُبـدي بطولـةً نـادرةً وتضحيـةً فريدةً ، حيث همَّ بقتلِ ولدِهِ عبـدِ الرحمـن نُصـرةً لدينِـه وحمايةً لعقيدتِه . وذلك حين خـرجَ ولـده عبـدُ الرحمـن قائلاً : مَنْ يُبـارزُ ؟ فنهـضَ لـه الصديـقُ شـاهراً سـيفَه، فقالَ له عبدُ الرحمن : لولا أنك أبي لم أنصرفْ، فنـادى رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ قائلاً : شِمْ سيفَك ، وارجعْ إلى مكانِك ، ومتِّعنا بنفسك .

٢ ـ أبو دجانة ﷺ :

أمّا أبو دجـانـة سِماكُ بنُ خَرَشَـةَ فقـد قاتل قتـالاً شديداً حتى أمعنَ في الناسِ ، ولْنصغِ إلى الزبيرِ بنِ العوامِ

يحدِّثنا عن هذه البطولةِ الفائقةِ .

يقولُ الزبيرُ : وجدتُ في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السيفَ فمنعَنيهِ وأعطاه أبا دجانةَ ، وقلتُ : أنا ابنُ صفيَّةَ عمَّتِه من قريشٍ ، وقد قمتُ إليه فسألتُه إياه قبلَه ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرنَّ ما يصنعُ ، فاتَّبعتُه فأخرجَ عصابةً له حمراءَ ، فعصبَ بها رأسَه ، فقالتِ الأنصارُ : أَخْرَجَ أبو دجانةَ عصابةَ الموتِ ، وهكذا كانتْ تقولُ إذا تعصَّبَ بها ، فخرجَ وهو يقول :

أنا الذي عاهدَني خليلي ونحن بالسَّفحِ لَدى النخيلِ
ألاَّ أقومَ الدهرَ في الكبولِ أضربْ بسيفِ الله والرسولِ

فجعلَ لا يلقى أحداً إلا قتلَه ، وكان في المشركين رجلٌ لا يَدَعُ لنا جريحاً إلا ذفَّفَ عليه[1]، فجعلَ كلٌّ

---

[1] ذفّفَ عليه : أجهزَ عليه .

واحدٍ منهما يدنو من صاحبِه ، فدعوتُ الله أن يجمعَ بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشركُ أبا دجانة ، فاتَّقاهُ بدرقتِه فعضَّتْ بسيفه ، وضربه أبو دجانةَ فقتله ، ثم رأيتُه قد حملَ السيفَ على مفرقِ رأسِ هندِ بنتِ عتبةَ ، ثم عدلَ السيفَ عنها إكراماً لسيف رسولِ الله ﷺ أن يضربَ به امرأةً .

وقالَ أبو دجانةَ : رأيتُ إنساناً يخمشُ الناسَ خمشاً شديداً ، فصمدْتُ له ، فلمّا حملتُ عليه السيفَ ولْولَ فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيفَ رسولِ الله ﷺ أن أضربَ به امرأةً .

ولأبي دجانةَ موقفٌ آخرَ لا يَقلُّ بطولةً وفداءً عن هذا الموقفِ ، وذلك حين جعل نفسَه تِرْساً واقياً لرسول الله ﷺ وانحنى عليه والنَّبْلُ يقعُ في ظهرِه حتى أصبحَ كالقنفذِ وهو ثابتٌ لا يتحركُ .

٣ ـ حمزةُ بنُ عبد المطّلب ﷺ :

أما أسدُ الله حمزةُ بنُ عبد المطلبِ ﷺ عمُّ رسولِ الله ﷺ فلقد أبلى يومئذٍ بلاءً حسناً أدهشَ المشركين وأثارَ عجبَهم واستغرابَهم ، ولْندَعْ وحشياً يحدثنا عن شجاعتِه الفائقةِ وبلائه العظيم .

يقولُ وحشيٌّ : واللهِ إني لأنظرُ إلى حمزةَ يَهُدُّ الناسَ بسيفه ما يُليقُ[1] به شيئاً ، مثلَ الجملِ الأورق ، فوالله إني لأتهيَّأُ له أريدُه وأستترُ منه بشجرةٍ أو حجرٍ ليدنوَ مني ، إذ تقدَّمَني إليه سباعُ بنُ عبد العزَّى ، فلما رآه حمزةُ قالَ له : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطعةِ البُظورِ ـ وكانت أمُّه ختانةَ النساء ـ قالَ : فضربَه ضربة كأنْ ما أخطأَ رأسَه .

وسوف أذكر الحديث بتمامه حين ذِكْرِ استشهادِه.

---

[1] ما يليق : ما يُبقي .

٤ ـ حنظلةُ غسيلُ الملائكة ﷺ :

وهذا حنظلـةُ بـنُ أبـي عـامر ﷺ لم يَكَـدْ يسـمعُ مناديَ الجهاد وهو يغتسـلُ صبيحـةَ عُرْسِـه حتـى خـرجَ قبلَ أن يُتِمَّ غُسْلَه ، فالتقى في أرض المعركةِ بأبي سفيانَ فصمدَ له وجعلَ يقاتلُه حتى تغلَّبَ عليه وكادَ أن يقتلَه، فلمّا استعلاه بالسيفِ صاحَ أبوسفيان، فأدركَه شداد بن الأسودِ بنِ شَعوبٍ فحملَ علـى حنظلـةَ بـالرمحِ فقتلـه، ونجا أبو سفيان ، فلما علمَ رسـولُ الله ﷺ باستشـهاده قال : « إنِّي رأيتُ الملائكةَ تُغَسِّلُ حنظلةَ بنَ أبـي عـامرٍ بين السماء والأرض بماءِ الْمُزْن في صحائفِ الفضـة » .

فذهـبَ أصحـابُ رسـولِ الله ﷺ إليـه فـإذا رأسُـه يقطُـرُ مـاءً ، فأرسـلَ رسـول الله ﷺ إلى امرأتِـه فسـألها عنـه فقـالتْ : خـرجَ وهـو جُنُـبٌ حـين سمـع الهاتفـةَ بالخروجِ للعدوِّ ، وقد كان غَسَـلَ أحـدَ شقَّيه ،

فخرجَ ولم يغسلِ الشِّقَّ الآخرَ .

وكانت امرأتُه قد رأتْ تلك الليلةَ أن السماءَ قد فُرجتْ فدخلَ فيها ثمَّ أطبقتْ .

٥ ـ عاصمُ بنُ ثابت ﷺ :

وهذا عاصمُ بنُ ثابت يقتلُ اثنين من حَمَلةِ لواءِ المشركين ، وهما مسافعُ بنُ طلحةَ والحارثُ بنُ طلحةَ، فنذرتْ أمُّهما سلافةُ ـ وكانت معَ نساء المشركين ـ أنْ تشربَ الخمرَ في قحفِ رأسِ عاصمٍ ، وجعلتْ لِمَنْ يأتيها به مائةً من الإبلِ جائزةً ، وكان عاصمٌ قد عاهدَ الله ألاَّ يمسَّ مشركاً أبداً ولا يمسَّه مشركٌ .

انقلابُ النصر هزيمةً

وثبتَ المسلمونَ يومئذٍ وقاتلوا قتالاً شديداً ، وأبلَوا بلاءً حسناً حتى أنزل الله عليهم نصرَه ، وصدَقهم وعدَه فحصدوا أعداءَهم بالسيوف ، وفرَّقوهم في كلِّ جهةٍ ، وكشَفوهم عن العسكرِ وكانتِ الهزيمةُ محققةً لا شكَّ فيها ، وذلك حينَ قُتلَ حملةُ اللواءِ واحداً بعد الآخرِ ولم يقدرْ أحدٌ أن يحملَه فلاذوا بالفرارِ ، وتفرّقوا في كلِّ جانبٍ ونساؤهم يَدْعونَ بالويلِ بعد فرحِهنَّ وغنائهنَّ وضربِهنَّ بالدفوفِ ..يقول البراء : « حتى رأيتُ النساءَ يشتددْنَ في الجبلِ رفعْنَ سوقَهنَّ قد بدتْ خلاخلُهنَّ » .يقولُ الزبيرُ بنُ العوام : « والله لقد رأيتُني أنظرُ إلى خَدَمِ[1] هندِ بنتِ عتبةَ وصواحبِها مُشَمِّراتٍ

---

[1] خلاخل .

هواربَ ، ما دونَ أخذِهنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ إذ مالتِ الرماةُ إلى العسكرِ حين كشَفْنا القومَ عنه وخلَّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا وصرخَ صارخٌ : ألا إن محمداً قد قُتلَ ، فانكفأنا[1] وانكفأَ علينا القومُ بعد أن أصبْنا أصحابَ اللواءِ حتى ما يدنوَ منه أحدٌ من القومِ » .

وشرع المسلمون يحتازونَ الغنائمَ بعد فرارِ جيشِ المشركين ، فقال الرماةُ : الغنيمةَ أيْ قوم الغنيمةَ ، ظهرَ أصحابُكم فما تنتظرونَ !

فقالَ أميرُهم عبدُ الله بنُ جُبير : أنسيتُم ما قال لكم رسولُ الله ﷺ ؟

قالوا : واللهِ لنأتينَّ الناسَ فلنُصيبَنَّ من الغنيمةِ .

وثبتَ أميرُهم مكانَه في نفرٍ دونَ العشْرةِ ، وقالَ : لا أجاوزُ أمرَ رسول الله ﷺ .

---

(1) انكفأنا : رجعنا .

فقالُوا : قد انهزمَ القومُ فما مقامُنا هنـا ؟ فغـادروا أماكنَهم وأخلَوها لخيلِ المشـركين ، وانطلقـوا يجمعـون الغنائمَ ، فنظرَ خـالدُ بـنُ الوليـد إلى الجبـلِ فلـم يَـرَ فيـه سوى قلَّةٍ من الرماةِ فكرَّ عليهم بالخيلِ ، وتبعـه عكرمـةُ ابنُ أبي جهـلٍ فحملـوا عليهـم حتـى قتلوهـم جميعـاً .. وخـلا الجبـلُ مـن المقاومـةِ ، ولم يبـقَ مَـنْ يحمـي ظهـرَ المسلمينَ، فنادى فرسانُ المشركين بشعارِهم : يا لَلعـزَّى يا لَهُبَل ، وتغيَّرَ وجهُ المعركةِ ، وانقلـبَ نصـرُ المسـلمينَ هزيمةً فتفرَّقوا في كلِّ جهةٍ، وتركوا ما أخذوا من غنائمَ، وحلُّوا مَنْ أسَروا مِنَ المشركين ، ونَسُـوا شـعارهم لِمـا أصابَهم من الدَّهشِ والحيرة ، وسيوفُ المشـركين تـنزلُ عليهـم من كلِّ جانبٍ وتعملُ فيهم ضربـاً وتقتيـلاً وهـم يتساقطون شهيداً بعد شهيدٍ ، وكـان لهـولِ المفاجـأةِ أنْ قتلَ المسلمون بعضَهم خطأً ، خاصةً بعد إشـاعـةِ مقتـلِ

رسولِ الله ﷺ ، وذلك أنَّ ابنَ قمئةَ نادى أن محمداً قد قُتل حين قَتلَ مصعبَ بنَ عميرٍ ، وهو يظنُّه رسول الله ﷺ .

هذا وبإشاعةِ مقتلِ رسولِ الله ﷺ عَظُمَتِ البليَّةُ ، وتفرَّقَ المسلمون ، وذُهلوا عن أنفسهم ، فمنهم من ولَّى هارباً إلى المدينةِ ثم رجعَ استحياءً ، منهم عثمانُ ابنُ عفانَ ، والوليدُ بنُ عقبةَ ، وخارجةُ بنُ زيدٍ ، ورفاعةُ بنُ مُعَلَّى ، ومنهم مَنِ انطلق صاعداً في الجبلِ وألقى سلاحه من هَوْلِ الفاجعةِ .

وفي هذا يقولُ تعالى : ﴿ **حتَّى إذا فشلْتُم وتنازعْتُم في الأمرِ وعصيْتُم من بعد ما أَرَاكم ما تحبُّون منكم مَنْ يريدُ الدُّنيا ومنكم من يريدُ الآخرةَ ثمَّ صرفَكم عنهم ليبتليَكم ولقد عفَا عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين * إذْ تُصعِدون ولا تَلوونَ على**

أَحَدٍ والرسولُ يدعوكم في أُخرَاكم فأثابَكم غمَّاً بغمٍّ لِكَيْلا تحزنوا على ما فاتَكم ولا ما أصابَكم وا للهُ خبيرٌ بما تعملونَ ﴾[1].

ومنهم من ثبتَ ليدافع عن رسول ا لله ﷺ ، ومنهم من تحَيَّرَ لكنه ثبتَ يقاتلُ دفاعاً عن نفسِه أو حمايةً لدينِه .

قال ابنُ حجر : الواقعُ أنهم صاروا ثلاثَ فِرقٍ :

ـ فرقةٌ استمرُّوا في الهزيمةِ إلى قربِ المدينةِ فما رجعوا حتى انفضَّ القتالُ وهم قليلٌ ، وهم الذين نزلَ فيهم قولُه تعالى : **﴿ إنَّ الَّذين تولَّوا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنّمااستزلَّهمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسبُوا ولقدْ عفا ا للهُ عنهم إنَّ ا للهَ غفورٌ حليمٌ ﴾**[2].

---

[1] الآيتان ١٥٢ ـ ١٥٣ من سورة آل عمران .

[2] الآية ١٥٥ من سورة آل عمران .

- وفرقةٌ صاروا حَيارى لَمّا سمعوا أنَّ النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ ، فصارتْ غايةُ الواحدِ منهم أنْ يذبَّ عن نفسه أو يستمرَّ على بصيرتِه في القتالِ إلى أنْ يُقتَلَ ، وهم أكثرُ الصحابة .

- وفرقةٌ ثبتتْ مع النبيِّ ﷺ ، ثم تراجعتْ إليه الفرقةُ الثانيةُ شيئاً فشيئاً حينَ تبيّنَ لهم كَذِبُ شائعةِ مقتلِ النبيِّ ﷺ .

وفي ذلك يقولُ الله تعالى : ﴿ **وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتمْ على أعقابكم ومَنْ ينقلبْ على عقبيه فلنْ يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشكرينَ * وما كانَ لنفسٍ أنْ تموتَ إلاّ بإذنِ اللهِ كتاباً مؤجَّلاً ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الدنيا نُؤْتِه منها ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نؤته منها وسنجزي الشاكرينَ * وكأَيِّنْ من نبيٍّ قاتلَ معه**

رِبِّيُّونَ كثيرٌ فما وَهَنُوا لِمَا أصابهمْ في سبيل ا لله وما ضَعُفوا وما استكانوا وا لله يحبُّ الصابرين ﴾[1] .

أي وكأَيِّنْ من نبيٍّ أصابهُ القتلُ ومعه ربيُّونَ كثيرٌ - أي جماعةٌ - فما وهنوا لفقدِ نبيِّهم ، وما ضَعُفوا عن عدوِّهم ، وما استكانوا لِما أصابهم في الجهادِ عن ا لله وعن دينهم ، وذلك هو الصبرُ ، وا للهُ يحبُّ الصابرين .

---

(1) الآيات ١٤٤ - ١٤٦ من سورة آل عمران .

ثباتُ النبيِّ ﷺ

هـذا والمعركـةُ علـى أَشُـدِّها قويـةً ضاريـةً ، وقـد هربَ من المسلمين مَنْ هربَ وثبتَ مَنْ ثبتَ ، إذْ تجمَّـعَ المشركونَ حولَ رسولِ الله ﷺ ، وأحاطوا به مـن كـلِّ جانبٍ ، وجعلوهُ هدفَهمُ الأولَ ، وعبّؤوا كلَّ طاقـاتِهم، ووضعوا كلَّ إمكاناتِهم لقتلِهِ ووَأْدِ دعوتِه .

في هذه الظروفِ الحَرِجـةِ ثبـتَ النبـيُّ ﷺ كـالجبلِ الأشمِّ يدفعُ جموعَهـم ، وينـادي أصحابَـه قـائلاً : « إليَّ عبادَ الله » ، فلم يكادوا يسمعونَ صوتَه حتى أقبلوا إليه يُدافعـونَ عنـه ، ويضربـونَ أروعَ الأمثلـةِ ، ويُسَـطِّرونَ أجملَ الصورِ في التضحيةِ والفداء .

يقول المقدادُ ﷺ : فوالذي بعثهُ بـالحقِّ مـا زالـتْ قدمُهُ شِبراً واحداً ، وإنّه لفي وجهِ العـدوِّ ، وتفـيءُ إليـه طائفةٌ من أصحابِه مرَّةً ، وتفترقُ مرَّةً ، فربما رأيتُه قائمـاً

يرمي عن قوسه ، ويرمي بالحجرِ حتى انحازوا عنه .

ويقولُ عليّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ : لَمّا انجلى النـاسُ يـومَ أحـدٍ نظـرتُ في القتلـى فلَـمْ أرَ رسـولَ الله ﷺ ، فقلتُ : والله ما كان لِيَفِرَّ ، وما أراهُ في القتلى ، ولكنْ أرى أنَّ الله غضبَ علينا بما صنعْنا ، فرفعَ نبيَّه ، فما لي خيرٌ مِنْ أنْ أُقاتلَ حتى أُقتَلَ ، فكسرْتُ جفنَ سيفي ثـم حملتُ علـى القـومِ فـأَفْرَجوا لي ، فـإذا برسـولِ الله ﷺ بينهم يُقاتلُ .

ويقول سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ ﷺ : لَمّا جالَ النـاسُ عن رسولِ الله ﷺ تلكَ الجولةَ يومَ أُحدٍ ، قلـتُ : أذودُ عن نفسي ، فإمّا أن أُسْتشهدَ ، وإمّا أنْ ألحقَ حتى ألقى رسولَ الله ﷺ ، فبينا أنا كذلك إذا برجلٍ مخمَّرٍ وجهُـهُ مـا أدري مَنْ هـو ، فـأقبلَ المشـركونَ حتـى قلـتُ قـد ركبوه ، فملأَ يدَه من الحصى ثمّ رمى به في وجوهِهم ،

فتنكَّبوا على أعقابِهم القهقرى حتى يأتوا الجبلَ ، ففعلَ ذلكَ مراراً ولا أدري مَنْ هو ، وبيني وبينه المقدادُ ، فبينا أنا أريدُ أنْ أسألَ المقدادَ عنه ، إذْ قالَ المقدادُ : يا سعدُ، هذا رسولُ الله ﷺ يدعوك ، فقلتُ : وأينَ هو ؟ فأشارَ لي إليه ، فقمتُ ولكأنَّه لم يُصبْني شيءٌ من الأذى، وأجلسَني أمامَه فجعلتُ أرمي وأقول : « اللهمَّ سهمَكَ فارْمِ به عدوَّك » ورسولُ الله ﷺ يقول : « اللهمَّ استجبْ لسعدٍ ، اللهمَّ سَدِّدْ رميتَه وأجِبْ دعوتَه » حتى إذا فرغتُ من كنانتي نثرَ رسولُ الله ﷺ ما في كنانته فنَبلني سهماً نضَّاً ، قال : « وهو الذي قد رِيشَ وكان أشدَّ من غيره » .

تآمرُ المشركينَ على قتلِ النبيِّ ﷺ

وكان أربعةٌ من المشركين تعاهدوا على قتلِ النبيِّ ﷺ ، وهم : عبدُ الله بنُ شهابٍ الزهري ، وعتبةُ بنُ أبي وقّاص أخو سعد ، وعمرو بنُ قمئة أو عبدُ الله بنُ قمئة ، وأبيٌّ بن خلَف .

١ ـ فهذا عبدُ الله بن شهابٍ يقولُ : دُلُّوني على محمدٍ فلا نجوتُ إنْ نجا ، وكانَ رسولُ الله ﷺ قريباً منه وليس معه أحدٌ ، فلقيَ صفوانُ بنُ أميّةَ عبدَ الله بنَ شهابٍ ، فقال له صفوانُ : أَلَمْ يُمكِنْكَ أن تضربَ محمداً فتقطعَ هذه الشَّأْفةَ فقد أمكنكَ الله منه ؟

قال : وهل رأيتَه ؟

قال : نعم ، إنّه إلى جنبكَ .

قال : واللهِ ما رأيتُه ، أحلفُ أنّه منّا ممنوعٌ ، خرجْنا أربعة تعاهدْنا على ذلك فلمْ نخلُصْ إلى ذلك .

٢ ـ وهذا عتبةُ بنُ أبي وقاصٍ الذي رمى رسولَ الله ﷺ فكسرَ رباعيتَه اليمنى ، وجرحَ شفتَهُ السُّفلى ، وكانَ أخوه سعدُ بنُ أبي وقاص يقولُ : ما حرصتُ على قتلِ أحدٍ قطُّ ما حرصتُ على قتلِ عتبةَ ، ولكنْ كفاني فيه قولُ رسولِ الله ﷺ : « اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ دمى وجهَ رسوله » .

ودعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللهمّ لا يحولُ عليه الحولُ حتى يموتَ كافراً » فما حالَ عليه الحولُ حتى أجابَ الله دعاءَ رسولِه ﷺ ، فماتَ عتبةُ كافراً .

فقالَ حسانُ بنُ ثابتٍ لعتبةَ بنِ أبي وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعالِهمْ ... وضرَّهمُ الرَّحمنُ ربُّ المشارقِ
فأخزاكَ ربّي يا عُتيبُ بنَ مالكٍ ... ولقّاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصواعقِ
بسَطْتَ يميناً للنبيِّ تعمُّداً ... فأدميتَ فاهُ قطِّعتْ بالبوارقِ
فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمنزلَ الذي ... تصيرُ إليه عند إحدى البوائق

البوارقُ : السيوف . البوائقُ : الدَّواهي ومصائبُ الدهر.

٣ـ وهذا عبدُ الله بنُ قمئة الذي رمى رسولَ الله ﷺ فجرحَ وجنتَه ودخلتْ حلقتانِ من المغفرِ فيها، وشَجَّ وجهَهُ، وكسرَ رباعيتَه، وقال: خُذْها وأنا ابنُ قمئة.

فقال له رسولُ الله ﷺ ـ وهو يمسحُ الدمَ عن وجهِهِ ـ: أقمَأَكَ الله ـ أي صغّركَ ـ، فسلَّطَ اللهُ عليه تيسَ جبلٍ فلم يزلْ ينطحُه حتّى قطّعه قطعةً قطعةً.

٤ـ وهذا أبيُّ بنُ خلفٍ يبحثُ عن رسولِ الله ﷺ ويقولُ: أين محمدٌ لا نجوتُ إنْ نجا، فقال القومُ: يا رسولَ الله أيعطِفُ عليه رجلٌ منّا؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: دَعُوهُ، فلمّا دنا أخذَ رسولُ الله ﷺ حربةً من الحارثِ بنِ الصِّمَّةِ فطعنهُ بها طعنةً قويّةً في عنقه سقطَ منها عن ظهرِ فرَسِه وجعلَ يتدحرجُ، ولم يخرجْ منه دمٌ بل احتقنَ وكُسِرَ أحدُ أضلاعِهِ.

وكانَ أبيٌّ بنُ خلفٍ يُهدِّدُ رسولَ الله ﷺ في مكةَ ويقولُ له : يا محمدُ ، إنَّ عندي العوذَ فرساً أعلفُه كلَّ يومٍ فرقاً من ذُرةٍ أقتلُكَ عليه ، فيجيبُه رسولُ الله ﷺ واثقاً : بل أنا أقتلُكَ إنْ شاءَ الله .

فلمّا رجعَ إلى قريشٍ بعدَ أنْ طعَنَهُ رسولُ الله ﷺ، قال لقومه : قتلني والله محمدٌ !!

فقالوا له : ذهبَ واللهِ فؤادُكَ! واللهِ إنْ بك بأسٌ.

قال : إنّه قد كانَ قال لي بمكةَ : أنا أقتلُكَ ، فوالله لو بصقَ عليَّ لقتلني . ثم ماتَ عدوُّ الله وهم قافلونَ به إلى مكةَ في مكانٍ يقالُ له : (سَرِف) .

فقال حسانُ بنُ ثابتٍ في ذلك :

لقدْ ورِثَ الضلالةَ عن أبيهِ أبيٌّ يومَ بارزهُ الرّسولُ
أتيتَ إليه تحملُ رمَّ عظمٍ وتُوعِدُهُ وأنتَ به جهولُ

وقد قتلتْ بنو النّجارِ منكم أميّـةَ إذْ يغوثُ بها عقيـل

وقال أيضاً :

ألا مَـنْ مُـبْلِـغٌ عنّـي أُبيّـاً لقد أُلقيتَ في سـحـقِ السعيرِ

تمّنى بالضلالـةِ مـن بعيـدٍ وتقسمُ إنْ قدرتَ مع النُّـذورِ

تُمَنِّيكَ الأمـانـي مـن بعيـدٍ وقولُ الكفرِ يرجعُ في غـرورِ

فقد لاقتْكَ طعنـةُ ذي حِفـاظٍ كريمِ البيتِ ليس بذي فجور

لـه فضلٌ على الأحيـاءِ طُـرَّاً إذا نـابـتْ مُلِمّـاتُ الأمـورِ

دفاعُ الصحابةِ عن رسولِ الله ﷺ

وكانَ المسلمونَ من جانبٍ آخرَ يُدافعونَ عن رسولِ الله ﷺ بكلِّ ما أُوتوا من قوةٍ ، حتى لقد بايعهُ بعضُهم على الموت .

١ً- فلقد ثبتَ مصعبُ بنُ عميرٍ وقاتلَ دفاعاً عن رسولِ الله ﷺ حتى قُتلَ ، وكان الذي قتلهُ ابنُ قمئةَ وهو يظنُّه رسولَ الله ﷺ .

٢ً- وجعلَ أبو دجانةَ نفسَه ترساً واقياً لرسولِ الله ﷺ ، فكانَ النّبْلُ يقعُ في ظهره حتى أصبحَ كالقنفذِ وهو ثابتٌ لا يتحرَّكُ .

٣ً- أمّا سعدُ بنُ أبي وقاصٍ فقد رمى دونَ رسولِ الله ﷺ بألفِ سهمٍ ، وكانَ رامياً ماهراً قلّما يُخطئُ ، وهو الذي دعا له رسولُ الله ﷺ : « اللهمَّ سَدِّدْ رميتَه،

وأجبْ دعوتَه » ، وحين فرغتْ سهامُ سعدٍ أعطاهُ رسولُ الله ﷺ سهامَه ، وقال له : « اِرْمِ سعدُ ، فداكَ أبي وأمّي » ، يقول سعدٌ : حتى إنّه ليناولُني السهمَ ما لَه نصلٌ ، فيقول : اِرمِ به .

٤ ـ أمّا طلحةُ بنُ عبيدِ الله فلقد قاتلَ قتالاً شديداً وكانَ يذبُّ بالسيف من بين يدي رسولِ الله ﷺ ومن ورائهِ وعن يمينه وعن شماله ، يدورُ حولَه ، ويحميه بنفسِه ويتلقّى عنه ضرَباتِ العدوّ ، حتى إنّ السيوفَ تغشاهُ ، والنَّبلُ يقعُ عليه من كلِّ ناحيةٍ ، ولم يزلْ كذلكَ حتى انكشفوا عنه ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يقولُ له : « قد أوجَبْتَ » .

ورمى مالكُ بنُ زهيرٍ الجُشَميُّ بسهمٍ يريدُ رسولَ الله ﷺ ، فاتّقاهُ طلحةُ بيده فأصابَ خنصرَه فشُلَّ ، وقال حين رماهُ : حِسْ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لو

قال : بسم الله لدخلَ الجنةَ والناسُ ينظرون » .

وقال : « مَنْ أحـبَّ أنْ ينظـرَ إلى رجـلٍ يمشـي في الدنيا وهو من أهلِ الجنةِ فلْينظرْ إلى طلحةَ بنِ عبيدِ الله، طلحةُ ممنْ قضى نحبَه » .

وأُصيـبَ طلحـةُ في رأســه ، ضربَـهُ رجـلٌ مـن المشركين ضربةً وهو مقبلٌ وأخرى وهو معرِضٌ ، فسالَ الدمُ حتى ملأَ وجهَه ثم غُشيَ عليـه ، فنضـحَ أبـو بكـرٍ ﷺ الماءَ في وجههِ حتى أفاقَ ، فقال : ما فعلَ رسولُ الله ﷺ ؟

قال : خيراً ، هو الذي أرسلني إليكَ .

قال : الحمدُ لله ، كلُّ مصيبةٍ بعدَه جلَلٌ[1] .

رويَ عن موسى بنِ طلحةَ قال : جُرِحَ طلحةُ يومَ أحدٍ تسعاً وثلاثينَ أو خمساً وثلاثينَ ، وشُلَّتْ إصبَعُهُ

---

(1) هيّنةٌ سهلة .

ـ أي السبابة ـ والتي تليها .

وكانَ أبو بكرٍ ﷺ إذا ذُكِرَ يومُ أحدٍ قال : كانَ ذلكَ اليومُ كلُّه لطلحةَ .

يقولُ قيسُ بنُ أبي حازمٍ : رأيتُ يدَ طلحةَ شلاّءَ، وقى بها النبيَّ ﷺ يومَ أحدٍ .

٥ً ـ وهذا أبو طلحة زيدُ بنُ سهلٍ الأنصاريُّ يُدافعُ عن رسولِ الله ﷺ دفاعَ الأبطالِ .

روى البخاريُّ عن أنسٍ ﷺ قال : « لَمّا كانَ يومُ أحدٍ انهزمَ الناسُ عن النبيِّ ﷺ ، وأبو طلحة بين يديه مجوبٌ عليه بجفنةٍ ـ وهي الترسُ من الجلدِ ـ وكانَ أبو طلحةَ رجلاً رامياً شديدَ النزعِ ، كسرَ يومئذٍ سيفينِ أو ثلاثةً ، وكان الرجلُ يمرُّ معه بجعبةٍ من النّبْلِ ، فيقولُ النبيُّ ﷺ : اُنثرْها لأبي طلحةَ ، قال : ويشرفُ النبيُّ ﷺ ينظرُ إلى القومِ ، فيقولُ أبو طلحةَ : بأبي أنتَ وأمّي ،

لا تُشرفْ يُصِبْكَ سهمٌ من سهامِ القومِ ، نحري دونَ نحرِك .

٦ - وكذلك أبلى قتادةُ بنُ النعمانِ في الدفاع عن رسولِ الله ﷺ بلاءً حسناً ، فقد وقى بوجهه السهامَ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ حتى سقطتْ إحدى عينيه .

قال قتادةُ : كنتُ أتّقي السهامَ بوجهي دونَ وجهه ﷺ ، فكانَ آخرُها سهماً ندرَتْ منه حَدَقتي ، فأخذتُها بيدي وسعيتُ إلى رسولِ الله ﷺ ، فلمّا رآها في كفّي دمعتْ عيناه ، فقال : « اللهمَّ قِ قتادةَ كما وقى وجهَ نبيّك ، فاجعلْها أحسنَ عينيه وأحدَّهما نظراً » فكانتْ أحسنَ عينيه وأحدَّهما نظراً ، وكانتْ لا ترمدُ إذا رمدَتْ الأخرى .

يروى أنَّ أحدَ أبنائه دخلَ يوماً على عمرَ بنِ عبد العزيز فسلَّم عليه فلم يعرفْه عمرُ وقال له : مَنْ

أنت ؟ فقال الرجلُ :

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدِّ عينُه   فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الرَّدِّ
فعادتْ كما كانتْ لأولِ أمرِها   فيا حسنَ ما عينٍ ويا حسنَ ما ردِّ

فعرفه عمرُ وقرَّبه منه وأحسنَ إليه .

٧ـ وهذه أمُّ عمارةَ نسيبة بنتُ كعبٍ المازنيةُ تدافعُ مع الرجالِ عن رسولِ الله ﷺ وتردُّ جموعَ المشركين .

تقولُ أمُّ عمارةَ : لَمّا انهزمَ المسلمونَ انحزتُ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقمتُ أُباشرُ القتالَ ، وأذبُّ عنه بالسيفِ ، وأرمي عنه بالقوسِ ، حتى خَلُصتِ الجراحُ إليَّ ، أصابني ابنُ قمئةَ حين أقبلَ يقولُ : دُلُّوني على محمد فلا نجوتُ إنْ نجا ، فاعترضتُ له أنا ومصعبُ بنُ عميرٍ وأناسٌ ممنْ ثبتَ مع رسولِ الله ﷺ ، فضربَني هذه الضربةَ ، ولقد ضربتُه على ذلك ضرَباتٍ ولكنَّ عدوَّ

الله كانَ عليه درعان .

قال عنها النبيُّ ﷺ : « لَمقـامُ نسيبةَ بنـتِ كعـبٍ اليـومَ خـيرٌ مـن مقـامِ فـلانٍ وفـلانٍ ، مـا التفـتُّ يمينـاً ولا شمالاً إلاّ وأنا أراها تُقاتلُ دوني » .

وقـال لابنهـا عبـدِ الله بـنِ زيـد : « بـاركَ الله عليكـم مـن أهـلِ بيـتٍ ، مقـامُ أمِّـكَ خـيرٌ مـن مقـامِ فلانٍ وفلانٍ ».

٨ً ـ وهذا عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ يقاتلُ دفاعـاً عـن رسولِ الله ﷺ حتى أُصيبَ فـوه ـ فمـه ـ فهُتِـم ـ أي كسِرتْ ثنيّتُه ـ وجُرِحَ أكثرَ من عشرينَ جراحـةً أصابـهُ بعضُها في رجله .

٩ً ـ وهذا أبو عبيدةَ عامرُ بنُ الجـرّاحِ الـذي كـانَ يقاتلُ دونَ رسولِ الله ﷺ ، وحين رأى رسولَ الله ﷺ أصابَه حلقتا المغفرِ دنا منه فنزعهما من وجهِ رسولِ الله

ﷺ بفمه فسقطتْ ثنيّتُه ، فكانَ - كما يُروى عنه - ساقطَ الثنيَّتينِ .

فهل رأيتَ أو سمعتَ في دنيا الناسِ وفاءً كهذا الوفاء ؟ وصدقاً كهذا الصدقِ ؟ وإخلاصاً كهذا الإخلاصِ ؟!!

وهل تستطيعُ الأرضُ أن تحملَ فوقَ ظهرها صنفاً كهذا الصنفِ من الناسِ ؟ إنّه لو حدثَ هذا لَمَا بقيتْ أرضاً ، إنّها تُصبحُ فردوساً وجنّةً ونعيماً ، تلكَ الجنّةُ وذلك النعيمُ والفردوس الذي وعدَنا الله في قرآنه الكريم .

ما لقيهُ النبيُّ ﷺ من الأذى

روى مسـلمٌ في صحيحـه عـن أنـس رضي الله عنه « أنَّ رسولَ الله ﷺ كُسِرتْ رباعيتُه يومَ أحدٍ ، وشُجَّ في رأسه فجعل الدمُ يسيلُ عنه ويقول : كيفَ يُفلحُ قومٌ شَجُّوا وجهَ نبيّهم وكسروا رباعيتَه وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله عز وجلَّ قولَه : ﴿ **ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يُعذِّبَهم فإنّهم ظالمونَ** ﴾[1] ».

وقد رويَ في سبب نزولِ هذه الآيةِ الكريمة عن ابنِ عمرَ أنّه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « اللهم العنْ فلاناً ، اللهمَّ العنْ الحارثَ بنَ هشام ، اللهمَّ العنْ سهيلَ بنَ عمرو، اللهمَّ العنْ صفوانَ بنَ أميةَ، فنزلتْ هذه الآية : ﴿ **ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ ..** ﴾ ».

---

[1] الآية ١٢٨ من سورة آل عمران .

وقد ثبتَ أنَّ هؤلاءِ تـابوا مـن شِـرْكِهم وأسـلموا وحَسُنَ إسلامُهم ، من أجلِ هذا قـال الله عـزّ وجـلّ :

﴿ **ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ أو يتوبَ عليهم** .. ﴾ .

وكانَ أبو عامر الفاسـقُ قـد حفـرَ حُفَـراً وغطّاها ليقعَ فيها المسلمونَ ، فوقعَ رسولُ الله ﷺ في إحداهـا ، فأخذهُ عليٌّ بيده ، واحتضنَه طلحةُ حتـى استوى قائمـاً وقد جُحِشَتْ[1] ركبتُه .

روى أبو حاتمٍ عن الصدِّيـق رضي الله عنه أنَّـه قـال : رُمـي رسولُ الله ﷺ في جبهتـه ووجنتِـه فـأهويتُ إلى السـهمِ لأنزعَه ، فقال أبو عبيدةَ : نشَدتُكَ اللهَ يـا أبـا بكـرٍ إلاّ تركَتني ، فتركتُه ، فأخذَ أبو عبيدةَ السَّهمَ بشفتِه فجعـلَ يحرِّكُه ويكرهُ أن يؤذيَه ﷺ ، ثم استلَّه بفمه .

---

[1] جُحِشتْ : جُرِحتْ .

وامتصَّ مالكُ بنُ سنانٍ والدُ أبـي سـعيدٍ الخـدريِّ الدمَ من وجنته ثم ازدردَه ، فقال النبيُّ ﷺ : « مَنْ مسَّ دمي دمَه لم تُصِبْهُ النّارُ » .

وكذلكَ فعلَ عليٌّ وفاطمةُ رضي الله عنهما حيثُ أخذا يُصلحانِ من شأنِ الجروحِ ، فكانتْ فاطمةُ تغسـلُ الدمَ وعليٌّ يسكبُ عليهـا المـاء ، فلمّـا رأتْ فاطمـةُ أنَّ المـاءَ لا يزيـدُ الـدمَ إلاّ كـثرةً ، أخـذتْ قطعـةَ حصـيرٍ فأحرقتْهـا حتـى صـارتْ رمــاداً ثــم ألصقَتْـه بــالجرحِ فاستمسكَ الدَّمُ .

قال ابنُ هشامٍ : وإنَّهم لكذلك ، إذْ علا خالدُ بـنُ الوليدِ على رأسِ فرسانٍ معه الجبـلَ ، فقـال رسـولُ الله ﷺ : « اللهمَّ إنَّه لا ينبغي لهم أن يعلونـا » ، ثـم انطلـقَ سـيدُنا عمـرُ ﷺ ومعـه رهْـطٌ مـن المهـاجرينَ فقــاتلوا المشركينَ حتى أهبطوهم من الجبلِ ، ونهضَ رسولُ الله

ﷺ إلى صخرةٍ من الجبل ليعلُوَها فلم يستطعْ ، فجلسَ تحتَه طلحةُ بنُ عبيدِ الله فنهضَ به حتى استوى عليها ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أوجَبَ طلحةُ » - أي وجبتْ له الجنةُ - ثم صعدَ المسلمون الجبلَ وقد نَهَكَهُمُ التعبُ وهدَّهمُ الجهدُ ، لدرجةِ أنَّ النبيَّ ﷺ صلّى الظهرَ قاعداً وصلّى المسلمونَ خلفَه قعودٌ .. وكانَ أوَّلَ مَنْ عرفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمةِ وشائعةِ مقتله كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه ، قال : لَمّا كانَ يومُ أحدٍ وصِرْنا إلى الشِّعْبِ ، كنتُ أولَّ مَنْ عرفَ رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : هذا رسولُ الله ﷺ ، فأشارَ إليَّ بيده أَنِ اسكتْ ، ثمّ ألبسَني لأْمَته ولبس لأْمَتِي ، فلقدْ ضُرِبتُ حتى جُرِحتُ عشرينَ جراحةً - أو قال : بضعاً وعشرين - كلُّ مَنْ يضربُني يحسبُني رسولَ الله ﷺ ..وأُصيبَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالسيفِ سبعينَ ضربةً ، ووقاهُ الله شرَّها كلَّها .

توعُّدُ أبي سفيان المسلمين

بعد انتهاء المعركة أشرفَ أبو سفيانَ على المسلمين ، فقال : أَفِي القومِ محمدٌ ؟

فقال : لا تُجيبوه .

فقال : أَفِي القومِ ابنُ أبي قحافةَ ؟

فقال : لا تُجيبوه .

فقالَ : أفِي القومِ ابنُ الخطّاب ؟

فلم يُجبْهُ أحدٌ ، فقال : إنَّ هؤلاءِ قد قُتِلوا ، فلو كانوا أحياءً لأجابوا .

فلم يملِكْ عمرُ نفسَه، فقال : كذبتَ يا عدوَّ الله، أبقى الله عليك ما يُحزِنُكَ .

فقالَ أبو سفيانَ : اُعْلُ هُبَلْ .

فقال النبيُّ ﷺ : أجيبوه .

قالوا : ما نقولُ ؟

قالَ : قولوا : اللهُ أعلى وأجلُّ .

فقال أبو سفيانَ : لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم .

فقال النبيُّ ﷺ : أجيبوه .

قالوا : ما نقولُ ؟

قال : قولوا : اللهُ مولانا ولا مولى لكم .

فقال أبو سفيانَ : يومٌ بيومِ بدرٍ، والحربُ سِجالٌ، وتجدونَ مُثْلَةً لم آمرْ بها و لم تسُؤني .

قال ابنُ هشامٍ : قال عمرُ لأبي سفيانَ : لا سواءَ، قتلانا في الجنةِ وقتلاكم في النار .

فقال أبو سفيانَ : هلمَّ إليَّ يا عمرُ .

فقال له رسولُ الله ﷺ : ائتِهِ فانظرْ ما شأنُه .

فجاءهُ ، فقال له أبو سفيانَ : أنشُدُكَ اللهَ يا عمرُ، أَقَتَلْنا محمداً ؟

فقال عمرُ : اللهمَّ لا ، وإنَّه ليسمعُ كلامَك الآنَ.

فقال أبو سفيانَ : أنتَ عندي أصدقُ من ابنِ قمئةَ وأبرُّ ـ وابنُ قمئةَ هو الذي أشاعَ شائعةَ مقتلِ النبيِّ ﷺ وقال : لقد قتلتُ محمداً ـ .

ثم نادى أبو سفيانَ : إنّه قد كانَ في قتلاكم مُثْلٌ[1]، واللهِ ما رضيتُ وما سَخطتُ ، وما نَهيتُ وما أمرتُ ، ثم انصرفَ ومَنْ معه قائلاً : إنَّ موعدَكم بدرٌ للعام القابل .

فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه : قلْ : نعم ، هو بيننا وبينكم موعدٌ .

---

(1) مثْلٌ : تمثيل .

النُّعاسُ يُصِيبُ المسلمين

بعدَ أنْ واعدَ أبو سفيانَ المسلمين العامَ القابلَ أخذَ جموعَه راجعاً إلى مكــةَ ، فبعــثَ رســولُ ا للهِ ﷺ رجــلاً ـ قيل : هو عليٌّ ، وقيل : سعدُ بنُ أبي وقاص ـ ليــأخذَ خبراً عن قريشٍ أَرَجَعُوا مكَّةَ أم لا ؟ فقــال : انظــرْ فــإنْ رأيتَهم قد قعدوا على أثقالِهم وجنبوا خيولَهم فإنَّ القومَ ذاهبونَ ، وإنْ رأيتَهم قد قعــدوا علــى خيولِهــم وجنبــوا أثقالَهم فإنَّ القومَ ينزلون المدينةَ ، فاتّقوا ا للهَ واصبروا .

فلمّا رآهم قعدوا على أثقالِهم سِراعاً عِجالاً نادى بأعلى صوتِــه : إنَّ القــومَ ذاهبــونَ ، فاطمــأنَّ المســلمونَ وخلَدوا إلى النومِ بعدَ أنْ نهكَهمُ التعبُ وهدَّهمُ الجهدُ ، بعد أنْ أمضَوا نهارَهم بالقتال ومواجهةِ العدوِّ، بالإضافةِ لِمَا أصابَهم من القلقِ والاضطراب والزلزلة .

فقد غشيَهمُ النُّعــاسُ ، وكانَ نعمــةً من ا للهِ وأمنــاً

وسلاماً ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أنزلَ عليكم مِنْ بعدِ الغمِّ أمَنَةً نعاساً يغشى طائفةً منكم** - وهم المؤمنون - **وطائفةٌ قد أهَمَّتْهم أنفسُهم يظنُّونَ با لله غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهليةِ** - وهم المنافقون الذين لم يناموا بل خافوا أن يناموا لاعتقادهم أنَّ القومَ عائدونَ لقتالِهم - **يقولونَ هلْ لنا من الأمرِ من شيءٍ قلْ إنَّ الأمرَ كلَّه لله يُخفونَ في أنفسِهم ما لا يُبدونَ لكَ يقولونَ لو كانَ لنا من الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هاهنا قلْ لو كنتمْ في بيوتكم لبرزَ الذين كُتِبَ عليهمُ القتلُ إلى مضاجعِهم ولِيَبْتَلِيَ ا للهُ ما في صدوركم ولِيُمحِّصَ ما في قلوبكم وا للهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ** ﴾[1].

روى البخاريُّ عن أبي طلحةَ قال : كنتُ فيمنْ

---

[1] الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

تغشّاه النُّعاسُ يومَ أحدٍ حتى سقطَ السيفُ من يدي مراراً ، يسقطُ وآخُذُهُ ويسقطُ فآخذُهُ .

وفي روايةٍ أخرى أنَّه قالَ : غَشِيَنا النُّعاسُ ونحنُ في مصافِّنا يومَ أُحدٍ ، فجعلَ سيفي يسقطُ من يدي وآخذُه ويسقطُ فآخذُه ، قال : والطائفةُ الأخرى المنافقونَ ليسَ لهم همٌّ إلاّ أنفسُهم ، أجبنُ قومٍ وأرعبُهُ وأخذلُه للحقِّ .

ورويَ عن الزبيرِ أنّه قال : لقد رأيتُني يومَ أحدٍ حينَ اشتدَّ علينا الخوفُ وأُرسِلَ علينا النومُ ، فما منّا أحدٌ إلاّ وذقنُه في صدره ، فوا لله إنّي لأسمعُ كالحلم قولَ معتبِ بن قشيرٍ : لو كان لنا من الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هاهنا ، فحفظتُها ، فأنزلَ الله تعالى في ذلك : ﴿ **ثم أنزلَ عليكم من بعدِ الغمِّ أمنةً نعاساً** ..إلى قوله .. **وا لله عليمٌ بذاتِ الصدور** ﴾ .

ثناءُ رسولِ الله ﷺ على شهداءِ أحدٍ

فلمّا انصرفَ المشركونَ أشرفَ رسولُ الله ﷺ على قتلى أحدٍ ، وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء » أي شفيعٌ لهم بما فعلوه من بذلِ أرواحهم وأموالِهم رخيصةً في سبيل الله .

وبهذه العبارةِ الموجزةِ العظيمة يريدُ رسولُ الله ﷺ أنْ يمنحَ شهداءَ أحدٍ أوسمةً كريمةً تُخلِّدُ ذكراهم إلى يومِ القيامة ، وتشهدُ لهم عند الله تبارك وتعالى ليلقَوا منه تقديراً وتبجيلاً ، ومنَ الرسولِ وسائرِ المؤمنينَ إجلالاً وتعظيماً ، ولقد زادهم رسولُ الله ﷺ تكريماً أنّه أمرَ بدفنِهم في ثيابهمُ المعطَّرةِ بدمائِهمُ الطاهرةِ النقيّةِ لتشهدَ لهم عندَ الله عزّ وجلّ ، ولم يُغسَّلوا ولم يُصَلَّ عليهم .

ويكفيهم فضلاً من اللهِ وتقديراً أنْ قال عنهم في

كتابه العظيم : ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ ا للهِ أمواتاً بـلْ أحيـاءٌ عنـدَ ربِّهـم يُرزَقـونَ * فرحـينَ بِمـا آتاهمُ ا للهُ منْ فضلِـه ويستبشـرونَ بـالذين لم يلحقـوا بهم من خلفِهم ألاّ خوفٌ عليهـم ولا هـم يحزنـونَ * يستبشرونَ بنعمـةٍ مـن ا للهِ وفضـلٍ وأنَّ ا للهَ لا يُضيـع أجرَ المؤمنين** ﴾[1].

ويزيدُ رسولُ ا للهِ ﷺ فضلَ شهداءِ أحـدٍ توضيحـاً وبياناً فيقولُ : « لَمّا أُصيبَ إخوانُكم بأُحدٍ ، جعلَ ا للهُ أرواحَهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ تَـرِدُ أنهـارَ الجنّـةِ وتـأكلُ من ثمارِها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ في ظلِّ العرشِ، فلمّا وجدوا طِيْبَ مأكلِهم ومشربِهم وحسنَ مَقيلِهـم ، قالوا : يا ليـتَ إخوانَنـا يعلمـونَ مـا صنـعَ ا للهُ لنـا لئـلاّ

---

[1] الآيات ١٦٩ ـ ١٧١ من سورة آل عمران .

يزهدوا في الجهادِ ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى: أنا أبلِّغُهم عنكم ، فأنزلَ فيهم قولَه : ﴿ ولا تحسبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ... ﴾ » .

عددُ شهداءِ أحد

١ً- جزمَ الواقديُّ بأنَّ عددَ مَنِ استُشهدَ في أُحدٍ سبعون ، أربعةٌ من المهاجرين ، وهم : حمزةُ بنُ عبدِ المطّلب ، ومصعبُ بنُ عميرٍ ، وعبدُ الله بنُ جحشٍ ، وشماسُ بنُ عثمانَ ، وسائرهمْ من الأنصار .

٢ً- وأخرجَ ابنُ حبانَ والحاكمُ عن أبيٍّ بنِ كعبٍ قال : أُصيبَ يومَ أُحدٍ من الأنصارِ أربعةٌ وستونَ ومن المهاجرين ستةٌ .

٣ً- ونُقلَ عن الشافعيّ أنَّ شهداءَ أُحدٍ اثنان

وسبعونَ ، وعن مالكٍ خمسةٌ وسبعون .

٤ - جاءَ في روايةٍ للبخاريّ : « كانَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه أصابوا من المشركينَ يومَ بدرٍ أربعينَ ومائة ، سبعينَ أسيراً وسبعينَ قتيلاً » .

فيكونُ عددُ شهداءِ أحدٍ سبعينَ مثلَهم ، وذلك للحديثِ الواردِ في سببِ نزولِ قولِهِ تعالى : ﴿ **أوَ لَمَّا أصابتْكم مصيبةٌ قدْ أصبتُم مثليها قلتُم أنّى هذا قلْ هو من عندِ أنفسِكم إنّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾[1]، حيثُ نزلتْ تسليةً للمؤمنين عمَّنْ أُصيبَ منهم يومَ أحدٍ، فإنّهم أصابوا من المشركينَ يومَ بدرٍ سبعينَ قتيلاً وسبعينَ أسيراً في عددَ مَنْ قُتِلَ .

---

(١) الآية ١٦٥ من سورة آل عمران .

أشهرُ مَنِ استُشهدَ مِنَ المسلمينَ

١ ـ سعدُ بنُ الربيع ﷺ :

بعدَ أَنِ انصــرفَ المشـركونَ مغـادرينَ أرضَ أُحـدٍ جعلَ رسولُ الله ﷺ يتفقَّدُ أصحابَه ، فسأل عــن سـعدِ ابنِ الربيعِ ، وأرسلَ مَنْ يبحثُ عنـه ، أفي الأمـواتِ هـو أم في الأحياءِ ؟

يقولُ زيدُ بنُ ثـابتٍ ﷺ : « بعثـني النـبيُّ ﷺ يـومَ أُحدٍ لطلبِ سعدِ بن الربيع ، وقال لي : إنْ رأيتَه فأقرِئْـهُ منّي السلامَ وقلْ له : يقولُ لكَ رسولُ الله ﷺ : كيفَ تجدُكَ ؟ .. فنادى زيدُ بنُ ثابتٍ في القتلى : يا سعدَ بــنَ الربيع .. مرّةً بعد أخرى ، فلم يُجبْه ، ثم نادى وقـال : إنَّ رسولَ الله ﷺ أرسلني إليكَ أَنظرُ أفي الأحيــاءِ أنتَ أمْ في الأمواتِ ؟

فأجابهُ بصوتٍ ضعيفٍ : أنا في الأمواتِ .

فذهبَ إليه فوجدهُ في القتلى وبه رَمَقٌ ، فقال : أبلغْ رسولَ الله ﷺ عنِّيَ السَّلامَ ، وقلْ له : يقولُ لك : جزاكَ اللهُ عنّا خيرَ ما جزى نبيّاً عن أمته ، وقلْ له : إنّي أجدُ ريحَ الجنّةِ، وأبلغْ قومَكَ عنِّيَ السلامَ وقلْ لهم: لا عذرَ لكم عندَ اللهِ أنْ يُخلَصَ إلى نبيّكم وفيكم عينٌ تطرِفُ . ثم مات رضي الله عنه » .

٢ ـ أسدُ اللهِ وأسَدُ رسوله حمزةُ بنُ عبد المطلب رضي الله عنه:

وخرجَ رسولُ الله ﷺ بنفسه يبحثُ عن عمِّه حمزةَ رضي الله عنه فوجدَهُ في بطنِ الوادي ، وقد بُقِرَ بطنُه ، ومُثِّلَ به فجُدِعَ أنفُه وأُذناه ، فنظرَ إليه نظرةً مِلْؤُها الأسى والحزنُ والألم ، وقال : « رحمةُ اللهِ عليك ، لقد كنتَ كما علمتُ فَعولاً للخيرِ وَصولاً للرحمِ ، ولولا حزنُ مَنْ بعدَك عليكَ لسرَّني أنْ أدعَكَ حتى تُحشَرَ من

أفواهٍ شتّى » .

وعندَ ابنِ هشامٍ : « أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزنَ صفيّةُ ، ويكونَ سنةً من بعدي ، لتركتُه حتى يكونَ في بطونِ السِّباعِ ، وحواصلِ الطيرِ ولئنْ أظهرني اللهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطنِ لأُمثِّلَنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم » .

فلمّا رأى المسلمونَ حُزنَ رسولِ اللهِ ﷺ وغيظَه على مَنْ فعلَ بعمِّه ما فعلَ ، قالوا : واللهِ لئنْ أظفرنا اللهُ بهم يوماً من الدهرِ لنُمثِّلَنَّ بهم مُثْلةً لم يمثِّلْها أحدٌ من العربِ .

وقال رسولُ اللهِ ﷺ : « لنْ أصابَ بمثلِكَ أبداً ، ما وقفتُ موقفاً قطُّ أغْيَظَ إليَّ مِنْ هذا » .

ثم قال : « جاءني جبريلُ فأخبرني أنَّ حمزةَ بنَ عبدِ المطَّلبِ مكتوبٌ في أهلِ السماوات السبعِ : حمزةُ ـ

ابنُ عبدِ المطَّلبِ أسدُ ا للهِ وأسدُ رسولِه » .

وكانَ رسولُ ا للهِ ﷺ وحمزةُ وأبو سلمةَ إخوةً من الرضاعةِ أرضعتْهم ثويبةُ مولاةُ أبي لهبٍ .

وحين توعَّدَ رسولُ ا للهِ ﷺ وأصحابُه أن يُمثِّلوا بالمشركينَ كما مثَّلوا بحمزةَ وغيرِه ، نزلَ جبريلُ بخواتيمِ سورةِ النَّحلِ تحملُ النهيَ عن المُثْلَةِ ، وتأمرُ بالتَّحلي بالصبرِ : ﴿ **وإنْ عاقبتُم فعاقبوا بمثلِ ما عُوقبتُم به ولئنْ صبرتُم لَهُوَ خيرٌ للصابرين * واصبرْ وما صبرُكَ إلاّ با للهِ ولا تحزنْ عليهم ولا تَكُ في ضَيقٍ مِمَّا يمكُرونَ * إنَّ ا للهَ معَ الذينَ اتَّقوا والذينَ هم محسنونَ** ﴾[1]. فاستجابَ النبيُّ ﷺ لأمرِ ربِّه ، وصبرَ وكفَّرَ عن يمينه ، وأمرَ أصحابَه بالصبر .

---

[1] الآيات ١٢٦ ـ ١٢٨ من سورة النحل .

مقتلُ حمزةَ ﷺ :

ولْنصغِ إلى وحشيٍّ قـاتلِ حمـزةَ ﷺ يحدِّثُنـا كيـف قتلَه ، يقولُ وحشيٌّ : كنتُ غلاماً لجبيرِ بـنِ مطعـمٍ ، وكانَ عمُّه طعيمةُ بنُ عَديّ قد أُصيبَ يومَ بـدرٍ ، فلمّـا سارتْ قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جبيرٌ : إنْ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمِّي فأنتَ عتيقٌ ، فخرجتُ معَ النـاسِ ، وكنـتُ رجلاً حبشيّاً أقذفُ بالحربةِ قـذفَ الحبشـةِ قلَّمـا أُخطـئُ بها شيئاً ، فلمّا التقى الناسُ خرجتُ أنظرُ حمزةَ وأتبصَّرُه حتـى رأيتُـه في عُـرْضِ النـاسِ مثـلَ الجمـلِ الأورقِ يهـدُّ الناسَ بسيفهِ هدًّاً ما يقومُ له شيءٌ ، فوالله إنّي لأتهيّأُ له أريـدُهُ وأسـترُ منـه بشـجرةٍ أو حجـرٍ ليدنـوَ منّـي إذْ تقدَّمني إليهِ سِباعُ بنُ عبد العُزَّى ، فلمّا رآه حمزةُ قال له : هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطعةِ البُظورِ ، فضربهُ ضربةً كأنْ ما أخطأ رأسَه ، قال : وهززتُ حربتي حتى إذا رضيتُ

منها دفعتُها عليه فوقعتْ في ثُنْتِهِ ـ منطقةٌ بين أسفلِ البطنِ وأعلى العانةِ ـ حتى خرجَتْ من بين رجليه ، وذهبَ لينوءَ نحوي ، فغُلِبَ وتركتُه وإياها حتى ماتَ ، ثمَّ أتيتُه فأخذتُ حربتي ، ثم رجعتُ إلى العسكرِ فقعدتُ فيه ولم يكنْ لي بغيره حاجةٌ وإنّما قتلتُه لأُعتَقَ ، فلمّا قدمتُ مكةَ أُعتِقْتُ ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ هربتُ إلى الطائفِ ، فمكثتُ بها فلمّا خرجَ وفدُ الطائفِ إلى رسولِ الله ﷺ ليُسلِموا تعيّتْ عليَّ المذاهبُ ، فقلتُ : أذهبُ إلى الشامِ ، أو اليمنِ ، أو بعضِ البلادِ ، فوالله إنّي لفي ذلكَ من همِّي ، إذْ قالَ لي رجلٌ : ويْحَكَ ، إنّه والله ما يقتلُ أحداً مِنَ الناسِ دخلَ في دينهِ وتشهَّدَ شهادتَهُ ، فلمّا قالَ لي ذلكَ ، خرجتُ حتى قدمتُ على رسولِ الله ﷺ المدينةَ ، فلم يَرُعْهُ إلاّ بي قائماً على رأسِه أتشهَّدُ

بشهادةِ الحقِّ ، فلمّا رآني قال : أوحشيٌّ ؟

قلتُ : نعم يا رسولَ الله .

قال : اُقعدْ فحدِّثْني كيف قتلتَ حمزةَ .

قال : فحدَّثْتُه ، فلمّا فرغتُ من حديثي قال : ويْحَكَ ، غيِّبْ عنّي وجهَك فلا أُرَيَنَّكَ .

قال : فكنتُ أتنكَّبُ رسولَ الله ﷺ حيثُ كانَ لئلاّ يراني ، حتى قبضَهُ الله .

٣ ـ مصعبُ بنُ عميرٍ ﷺ :

وكان مصعبُ بنُ عميرٍ ﷺ قد ثبتَ أمامَ المشركين يُدافعُ عن رسولِ الله ﷺ حتى قُتِلَ ، وكانَ الذي قتلهُ ابنُ قمئةَ وهو يظنُّ أنَّه رسولُ الله ﷺ ، فنادى قائلاً : قتلتُ محمداً .

جاءَ في صحيحِ البخاريّ عن خبّابِ بنِ الأرتِّ قال : « هاجرْنا معَ رسولِ الله ﷺ نبتغي وجهَ اللهِ ، فوجبَ أجرُنا على الله ، ومعنا مَنْ ذهبَ لم يأكلْ من أجره شيئاً ، كانَ منهم مصعبُ بنُ عميرٍ ، قُتِلَ يومَ أُحدٍ ، لم يتركْ إلاّ نَمِرةً ، كنّا إذا غطّينا بها رأسَه خرجتْ رجلاه ، وإذا غُطِّيَ بها رجلاهُ خرجَ رأسُه ، فقال النبيُّ ﷺ : غَطُّوا بها رأسَه واجعلوا على رجلهِ الإذخِرَ .

ومنّا مَنْ قد أينعتْ له ثمرتُه فهو يهديها ، وكانَ النبيُّ ﷺ يجمعُ بين الرجلينِ من قتلى أُحدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثم يقولُ : أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآنِ ؟ فإذا أُشيرَ له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحدِ » .

ولقد وقفَ النبيُّ ﷺ أمامَ جثمانِ مصعبٍ وقال : « لقد رأيتُكَ بمكةَ وما بها أرقُّ حُلّةً ، ولا أحسنُ لِمَّةً

منك لِمّة ، ثم ها أنتَ ذا شَعثُ الرأسِ في بردةٍ » .

٤ ـ حنظلةُ بنُ أبي عامرٍ .. غسيلُ الملائكةِ ﷺ :

وهذا حنظلةُ لم يَكَدْ يسمعْ مناديَ الجهادِ صبيحةَ عرْسِه حتى خرجَ قبلَ أن يُتِمَّ غُسْلَهُ ، فالتقى في أرضِ المعركةِ بأبي سفيانَ ، فصمدَ أمامَه وجعلَ يُقاتلُه حتى تغلَّبَ عليه وكادَ أنْ يقتلُه ، فلمّا استعلاهُ بالسيفِ صاحَ أبو سفيانَ فأدركَهُ شدّادُ بنُ الأسودِ بنِ شعوبٍ فحملَ على حنظلةَ فقتلَه ونجا أبو سفيانَ ، وقال : حنظلةُ بحنظلةَ ـ يريدُ أنَّهم قتلوا حنظلةَ بنَ أبي عامرٍ بولدِهِ حنظلةَ الذي قتله المسلمونَ ببدرٍ ـ .

فلمّا علمَ رسولُ الله ﷺ باستشهادِ حنظلةَ قال : « إنّي رأيتُ الملائكةَ تُغسِّلُ صاحبَكم بين السماءِ والأرضِ بماءِ المُزْنِ في صحائفِ الفضة » .

فذهبَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ إليهِ فإذا رأسُه

يقطُرُ ماءً ، فأرسـلَ إلى امرأتِـهِ فسـألَها عنـه ، فقـالتْ : خرجَ وهو جُنُبٌ حـين سمـعَ الهاتفـةَ بـالخروجِ للعـدوِّ ، وكانَ قـد غسـلَ أحـدَ شـقَّيهِ فخـرجَ ولم يغسـلِ الشِّـقَّ الآخرَ ، وكانتِ امرأتُه قد رأتْ تلـكَ الليلـةَ أنَّ السـماءَ قد فُرِجتْ له فدخلَ فيها ثم أطبقتْ عليه .

فما أعظمَ هـذه النفسُ المؤمنـة !! عريسٌ يُفـارقُ عروسَه صبيحةَ عُرْسِه ، ثم يذهبُ ويتركُها مسـرعاً إلى لقاء ربِّـهِ عـزّ وجـلَّ بائعـاً نفسَـه وكـلَّ مـا يملـكُ طلبـاً لرضوانِ اللهِ تباركَ وتعـالى ، لدرجـةِ أنَّـه لم يسـتطعْ أن يُكملَ غُسْلَهُ ، فلا عَجَبَ إذنْ أن تُغسِّلَه الملائكةُ وفاءً له وتكريماً ، وأيُّ وفاءٍ ؟! وأيُّ تكريمٍ ؟! لقد غسَّلوه بمـاءِ المزنِ في صحائفِ الفضةِ كما شـهدَ لـه بذلـك الصـادقُ المصدوقُ ﷺ .

٥ ـ أنسُ بنُ النَّضْرِ عمُّ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنهما :

وهذا أنسُ بنُ النضرِ الذي فاتَهُ الجهادُ يومَ بدرٍ ، يقولُ لرسولِ الله ﷺ : يا رسولَ الله ، غبتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلتَ به المشركينَ ، لئنِ اللهُ أشهدَني قتالَ المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ .

فلمّا كانَ يومُ أحدٍ وانكشفَ المسلمونَ قال : اللهمَّ إنّي أعتذرُ إليك مما صنعَ هؤلاءِ ـ يعني أصحابَه ـ وأبرأُ إليكَ مما صنعَ هؤلاء ـ يعني المشركينَ ـ ثم انطلقَ في أرضِ المعركةِ فأبصرَ سعدَ بنَ معاذٍ ، فقال : يا سعدُ ابنَ معاذٍ ، الجنّةُ وربِّ النَّضْرِ ، وإني أجدُ ريحَها من أُحُدٍ .

يقولُ سعدُ بنُ معاذٍ : فوجدْنا به بِضعاً وثمانينَ ضربةً بالسيفِ أو طعنةً برمحٍ أو رميةً بسهمٍ ، ووجدناهُ قد قُتِلَ وقد مَثَّلَ به المشركونَ ، فما عرفه أحدٌ إلاّ أختُه

بِبَنانه ـ علامةٌ مميَّزةٌ به ـ .

٦ ـ ثابتُ بنُ الدَّحداح ﷺ :

الذي نادى بالمسلمينَ يُشجِّعُهم على الثباتِ في القتالِ إِثْرَ شائعةِ مقتلِ النبيِّ ﷺ ، فقال : يا معشرَ الأنصارِ إنْ كانَ محمدٌ قد قُتِلَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ ، فقاتلوا على دينكم فإنَّ الله مظهرُكم وناصرُكم . فنهضَ إليهِ نفرٌ من الأنصارِ فحملوا على كتيبةٍ فيها خالدُ بنُ الوليدِ وعمرو بنُ العاص وعكرمةُ بن أبي جهلٍ وضرارُ بنُ الخطّاب ، فحملَ عليه خالدُ بنُ الوليدِ بالرمح فقتلَه وقتلَ مَنْ كان معه من الأنصارِ .

وفي هذه البلبلةِ وبعدَ انهزامِ المسلمين ، وإِثْرَ شائعةِ مقتلِ النبيِّ ﷺ أنزلَ الله عزّ وجلَّ قولَه : ﴿ **وما محمّدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قبلِهِ الرُّسُلُ ..** ﴾[1].

---

[1] الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

٧ ـ عبدُ اللهِ بنُ جحشٍ ﷺ :

وهذا عبدُ الله بنُ جحشٍ يدعو ربَّه قبلَ معركةِ أُحدٍ أن يرزقَه اللهُ الشهادةَ ، فيقولُ : (اللهمَّ ارزقْني رجلاً شديداً بأسُه شديداً حردُهُ ، أقاتلُه فيك ، ويقاتلُني فيقتلُني ثم يأخذُني فيجدعُ أنفي وأُذُني ، فإذا لقيتُكَ قلتَ : يا عبدَ اللهِ ، فيمَ جُدِعَ أنفُكَ وأُذُنُكَ ؟ فأقولُ : فيكَ وفي رسولِكَ ، فيقولُ اللهُ : صدقتَ) .

يقولُ سعدٌ : لقدْ رأيتُه آخرَ النهارِ ، وإنَّ أنفَه وأُذُنَه معلَّقانِ في خيطٍ .

لقدْ صدقَ اللهَ فيما دعاه فصدَقَه اللهُ وأعطاه ما تمنّى ، وتلك لعمرِي مكرمةٌ بمكرمةٍ ، « ومنْ تقرَّبَ إليَّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً » .

يروى أنَّ سيفَه يومئذٍ انقطعَ ، فأعطاهُ النبيُّ ﷺ

عرجوناً فصارَ في يدِ عبدِ الله سيفاً يقـاتلُ بـه ، ثـم بيـعَ بمائتي دينارٍ ، وكانَ عبدُ الله بنُ جحشٍ ابـنَ عمَّـةِ النبـيِّ ﷺ ، وهي أميمةُ بنتُ عبد المطَّلب ، وقد أمرَ النـبيُّ ﷺ أنْ يُدفَنَ مع خاله حمزةَ في قبرٍ واحدٍ .

٨ ـ زيادُ بن السَّكنِ أو عمارةُ بنُ يزيدَ بنِ السَّكن ﷺ :

وحينَ أحاطَ المشـركونَ برسـولِ الله ﷺ يريـدونَ أنْ يقتلوه ، ووقفَ بعضُ المسلمين يُدافعونَ عنـه ، كـانَ من بينهم زيادُ بنُ السكنِ أو عمارةُ بنُ يزيدَ بنِ السـكن الذي ثبتَ يدافعُ عن رسولِ الله ﷺ مع بعضِ المسـلمينَ فكانوا يُقتَلونَ رجلاً بعدَ رجلٍ ، كانَ آخرَهم قتلاً زيـادُ ابن السكن ، فقد قاتلَ حتى أثبتتْهُ الجـراحُ ، ثـم أقبلـتْ جماعةٌ من المسلمين فأنقذوه من بين سيوفِ المشركينَ ، فقـالَ رسـولُ الله ﷺ ادْنـوهُ منّـي ، فـأدْنَوه ، فوسَّـدَهُ قدمَه ، فماتَ وخدُّه على قدَمِ رسولِ الله ﷺ .

٩ ـ ١٠ ـ حُسَيلُ بنُ جابرٍ وثابتُ بنُ وقشٍ رضي الله عنهما :

وهذا حُسيلُ بنُ جابرٍ ، وهو اليمانُ أبو حذيفةَ بنُ اليمانِ ، وكان شيخاً كبيراً ، لم يَكَدْ يسمعُ مناديَ الجهادِ حتى ذهبَ إلى صديقِهِ ثابتِ بنِ وقشٍ، فقال له: ما ننتظرُ هاهنا ؟ فوالله ما بقيَ للواحدِ منّا من عُمُرِه إلاّ ظمءُ حمارٍ ـ أي مقدارُ ما يكون بين شربتي الحمار ، وأقصرُ الأظماءِ ظمءُ الحمار لأنّه يشربُ كثيراً ولا يصبرُ عن الماءِ ـ إنّما نحنُ هامةُ اليومِ أو غدٍ ـ يريدُ أنّهما أشرفا على الموتِ ـ أفلا نأخذُ أسيافَنا ثم نلحقُ برسولِ الله ﷺ لعلَّ اللهَ يرزقُنا شهادةً مع رسولِ الله ﷺ ؟

فأخذَ كلٌّ منهما سيفَه وانطلقَ بينَ الناسِ ، ولم يعلمْ بقتالهما أحدٌ ، فأمّا ثابتُ بنُ وقشٍ فقد قتلهُ المشركونَ ، وأمّا حُسيلُ بنُ جابرٍ فقتله المسلمونَ وهم لا يعرفونه ، فشاهدَهم حذيفةُ وناداهم : أبي واللهِ إنّه

أبي .. ولكنْ أمرُ اللهِ نافذٌ فقد استُشهدَ حُسيلٌ ، فقال حذيفةُ : يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين .. فأمرَ رسولُ الله ﷺ بدفعِ دِيَتِه ، فتصدَّقَ بها حذيفةُ على المسلمين ، فزاده ذلكَ عندَ رسولِ الله ﷺ مكانةً ودعا له بخيرٍ .

١١ ـ أُصيرِمُ بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش السابقُ ذكرُه رضي الله عنهما :

الذي كانَ يقولُ عنه أبو هريرة : حدِّثوني عن رجلٍ دخلَ الجنّةَ ولم يُصَلِّ قطُّ . فإذا لم يعرفوه ، قالوا : مَنْ هو ؟ فيقولُ : أُصيرمُ بني عبد الأشهل .

وذلك أنَّه كانَ يأبى الإسلامَ على قومه ، فلمّا كانَ يومُ أحدٍ بدا له في الإسلامِ فأسلمَ ، ثم أخذَ سيفَه وانطلقَ في عُرْضِ الناسِ ، فقاتلَ حتى أثبتتْه الجراحُ ، فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهلِ يلتمسونَ قتلاهم في

المعركةِ إذْ هم به ، فقالوا : واللهِ إنّ هذا لَلأُصيرمُ ما جاءَ به ؟ لقد تركناه وإنّه لَمنكرٌ لهذا الحديث !!
فسألوه فقالوا : ما جاءَ بك يا عمرو ؟ أَحدَبٌ على قومِكَ أم رغبةٌ في الإسلامِ ؟

قال : بل رغبةٌ في الإسلامِ ، آمنتُ بالله ورسولِهِ وأسلمتُ ، ثم أخذتُ سيفي فغدوتُ مع رسولِ الله ﷺ ثم قاتلتُ حتى أصابني ما أصابني ... ثم لم يلبثْ أنْ ماتَ بين أيديهم ، فذكروا ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال : إنّه لَمِنْ أهلِ الجنّةِ .

١٢ ـ مُخيريق ﷺ :

وهذا مخيريقٌ رجلٌ من اليهودِ ، فحينَ ظهرَ له الحقُّ جليّاً واضحاً أسلم وقال لقومه : يا معشرَ يهودَ ، واللهِ لقد علمتُم أنَّ نصرَ محمدٍ عليكم لَحقٌّ ، قالوا : إنَّ اليومَ يومُ السبتِ ، قال : لا سبتَ لكم .. فأخذَ سيفَه وعُدَّتَه

وقال لأهله : إنْ أُصِبْتُ فمالي لمحمدٍ يصنعُ به ما شاءَ ..
ثم غدا إلى رسولِ الله ﷺ فقاتلَ معه حتى قُتِلَ ، فقال
رسولُ الله ﷺ : « مخيريقٌ خيرُ يهودَ » .

وعلى العكسِ من هذا تماماً قزمانُ الذي كانَ
يُعرَفُ بالشجاعةِ والإقدامِ ، وقد تأخَّرَ عن الخروج يومَ
أُحدٍ فعيَّرتْهُ نساءُ بني ظفَر فأخذَ سيفَه ولحقَ برسولِ الله
ﷺ وهو يسوِّي الصفوفَ ثم انتهى إلى الصفِّ الأولِ ،
فكانَ أوَّلَ مَنْ رمى بسهمٍ ، وجعلَ يرسلُ سهاماً كأنّها
الرماحُ ، ثم فعلَ بالسيفِ الأفاعيلَ حتى قتلَ سبعةً من
المشركينَ، فأصابتْه جراحةٌ فوقعَ ، فناداه قتادةُ بنُ
النعمانِ : أبا الغيداق ، هنيئاً لكَ الشهادةَ ، فقال : إنّي
واللهِ ما قاتلتُ يا أبا عمرو عن دينٍ ، ما قاتلتُ إلاّ على
الحِفاظ - الغضب والأَنَفَة - أنْ تسيرَ قريشٌ إلينا حتى

تطأَ سَعْفَنا ـ أي النّخل ـ ثم تحاملَ على سيفهِ فقتلَ نفسَه .. فذُكِرَ للنبيِّ ﷺ فقال : « مِنْ أهلِ النارِ ، إنّ اللهَ ليؤيّدُ هذا الدِّينَ بالرجلِ الفاجرِ » .

١٣ ـ وهذا **عمرو بنُ الجموح** ؓ ، الذي كانَ سيّداً من ساداتِ بني سلمةَ وزعيماً من زعماءِ المدينةِ ، وكانَ رجلاً أعرجَ شديدَ العرَج ، وكانَ له أبناءُ أربعةٌ يُقاتلونَ مع رسولِ الله ﷺ كالأُسود ، ويشهدونَ معه المشاهدَ، فلمّا كانَ يومُ بدرٍ أرادَ أنْ يخرجَ مع المجاهدينَ فمنعهُ أبناؤهُ ، واستطاعوا أنْ يُقنعوه أنَّ الإسلامَ يُعفيه من الجهادِ كفريضةٍ نظراً لعرَجهِ الشديد ، ذلكَ أنَّ الله تباركَ وتعالى يقولُ : ﴿ **ليسَ على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرجِ حرجٌ ولا على المريضِ حرجٌ ..** ﴾[1] .

---

[1] الآية ١٧ من سورة الفتح .

ولَمّا جاءَ يومُ أحدٍ أرادوا حبسَه ، وقالوا : إنَّ اللهَ عزّ وجلَّ قد عذَرَكَ ، فذهبَ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : إنَّ بَنِيَّ يريدونَ أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروجِ معكَ فيه ، فوالله إنّي لأرجو أنْ أطأَ بعرجتي هذه في الجنّة .

فقالَ رسولُ الله ﷺ : أمّا أنتَ فقد عذركَ اللهُ فلا جهادَ عليك .. وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه، لعلَّ اللهَ أنْ يرزقَه الشهادةَ ... فخرجَ معه فقُتِلَ شهيداً.

رويَ أنَّه لَمّا خرجَ من بيته قال : اللهمَّ لا تردَّني .. فنالَ الشهادةَ ، فجعلَهُ بنوهُ على بعيرٍ ليحملوه إلى المدينةِ ليدفنوه فيها ، فاستصعبَ عليهمُ البعيرُ ، فكانَ إذا وجَّهوهُ إلى كلِّ جهةٍ سارعَ ، وإذا وجّهوه إلى المدينةِ أبى الرجوعَ إليها .. ثم ذكروا قولَه : (اللهمَّ لا تردَّني إليها) فدفنوه في أرضِ أُحدٍ .

رويَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لأصحابه : « اِدفنوا عمرو بنَ الجموحِ وعبدَ اللهِ بن حرامٍ في قبرٍ واحدٍ ، فإنّهما كانا في الدنيا متحابَّيْنِ » .

١٤ - يزيدُ بنُ حاطبٍ ﷺ :

كانَ أبوهُ حاطبُ بنُ أميّةَ بنِ رافعٍ منافقاً ، وكان شيخاً كبيراً قد عسا[1] في الجاهلية ، ونجمَ نفاقُه يومَ أحدٍ ، وكانَ ولدُه يزيدُ بنُ حاطبٍ مؤمناً صادقاً ، خرجَ يومَ أحدٍ مع المقاتلين فأصابتْه جراحةٌ فجيءَ به إلى دارِ قومه وهو يعالجُ سكراتِ الموتِ فاجتمعَ عليه أهلُ الدار ، وجعلَ المسلمونَ من الرجالِ والنِّساءِ يقولون له: أبشرْ يا ابنَ حاطبٍ بالجنّة ، فقال أبوه : بأيِّ شيءٍ تبشِّرونه ؟ بجنّةٍ من حَرْمل ؟! غررْتُم واللهِ هذا الغلامَ من نفسه .

[1] عسا : كبُرَ وتقدَّمتْ به السِّنُّ .

ومِمّنْ هم على شاكلةِ حاطبِ بنِ أميةَ في النفاق، الحارثُ بنُ سويدٍ بنِ الصامت ، الذي خرجَ يومَ أحدٍ مع المسلمين ، وفي أرضِ المعركةِ عدا على المجذّر بنِ زياد وقيسِ بنِ زيد فقتلهما ، ثم لحقَ بمكةَ ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنه بقتلِهِ إنْ هو ظفرَ به ، وبقيَ الحارثُ بنُ سويدِ في مكةَ ، ثم بعثَ إلى أخيه الجُلاّسِ بنِ سويدٍ يطلبُ التوبةَ ليرجعَ إلى المدينةِ ، فأنزلَ الله تعالى فيه قولَه : ﴿ **كيفَ يهدي الله قوماً كفروا بعدَ إيمانِهم وشهدوا أنَّ الرسولَ حقٌّ وجاءهمُ البيّناتُ والله لا يهدي القومَ الظالمينَ** ﴾[1] .

قال ابنُ هشامٍ : فبينا رسولُ الله ﷺ في نفَرٍ من أصحابِه ، إذْ خرجَ الحارثُ بنُ سويدٍ من بعضِ حوائطِ

---

[1] الآية ٨٦ من سورة آل عمران .

المدينـةِ وعليـه ثوبـانِ مضرَّجـانِ ، فـأمرَ رسـولُ ا للهِ ﷺ عثمانَ بنَ عفّانَ فقتله .

هؤلاء همْ أشهرُ مَنْ ذُكِرَ مـن شـهداءِ أحـدٍ ﷺ ، وهذا ما يسَّرهُ ا للهُ عزّ وجلّ ، وليـس منهـم : قزمـان ، وحـاطبُ بـنُ أميـة ، والحـارثُ بـنُ سـويدٍ ، فهـم مـن المنافقينَ .

دفنُ الشهداءِ

انتهتِ المعركةُ وقد أصـابَ المسـلمينَ مـا أصـابهم من تعـبٍ وجـوعٍ وجـراحٍ ونعـاسٍ ، وهـذه كلُّهـا آلامٌ جسديةٌ ونفسيةٌ تـؤرِّقُ الإنسـانَ وتزعجُـه وتُقعـدُه عـن العمـل والحركـة ، مـن أجـل هـذا أمـرَ رسـولُ ا للهِ ﷺ أصحابَـه أن يدفنوا الشـهـداءَ حيثُ قُتِلوا ، فكانَ بعضُ

أهالي الشهداءِ قد نقلوا شهداءهم إلى المدينةِ ليُدْفَنوا فيها فسمعوا مناديَ رسولِ الله ﷺ يقول : رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم .. فأعادوهم .

وكانَ رسولُ الله ﷺ يجمعُ بين الرجلين والثلاثةِ في القبرِ الواحدِ لِمَا كانَ بهم من الجراحِ والجهد مما يشقُّ عليهم أنْ يحفروا لكلٍّ واحدٍ قبراً .

وقد اختُلفَ في الصلاةِ على شهداء أحدٍ :

فقد جاءَ في صحيح البخاريّ عن جابر رضي الله عنه « أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ في قتلى أحدٍ بدفنِهم بدمائهم ، ولم يُغسَّلوا ولم يُصَلَّ عليهم » .

وقال الإمامُ الشافعيُّ في الأمِّ : جاءتِ الأخبارُ كأنّها عيانٌ من وجوهٍ متواترةٍ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُصَلِّ على قتلى أُحُدٍ ، وما رويَ أنَّه صلّى عليهم وكبّرَ على حمزةَ سبعينَ تكبيرةً لا يصحُّ .

وفي البخاريِّ عن عقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال :
« صلّى رسولُ الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعدَ ثمانِي سنينَ كالمودِّعِ للأحياءِ والأمواتِ » .

وكأنَّه ﷺ دعا لهم واستغفرَ لهم حينَ علمَ قربَ أجلِهِ مودِّعاً لهم بذلك ، كما جاءَ في فتح الباري ، والله أعلم .

عودةُ المسلمينَ إلى المدينة

ولَمّا فرغَ المسلمونَ من دفنِ شهدائهم توجّهوا إلى المدينةِ يقودُهمْ رسولُ الله ﷺ ، فلمّا كانوا بأصلِ الحرّةِ قال لهم : اصطفُّوا فنثني على الله ، فاصطفَّ الرجالُ صفّيْنِ واصطفَّ النساءُ خلفَهم ، ثم دعا قائلاً :

« اللهمَّ لك الحمدُ كلُّه ، اللهمَّ لا قابضَ لِمَا بسطتَ ولا باسطَ لِمَا قبضتَ ، ولا مانعَ لِمَا أعطيتَ

لِمَن هديتَ ، ولا مقرِّبَ لمن بعَّدتَ ولا مباعدَ لمن قرَّبتَ ، اللهمَّ إني أسألُك من بركتِكَ ورحمتِكَ وفضلِكَ وعافيتِكَ ، اللهمَّ إني أسألُك النعيمَ المقيمَ الذي لا يحولُ ولا يزولُ ، اللهمَّ إني أسألُك الأمنَ يومَ الخوفِ والغنى يومَ الفاقةِ ، عائذاً بكَ اللهمَّ من شرِّ ما أعطيتَنا وشرِّ ما منعتَنا ، اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبنا وكرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ ، واجعلنا من الراشدين، اللهمَّ توفَّنا مسلمين وأحيِنا مسلمين ، وألحقْنا بالصالحين غيرَ خزَايا ولا مفتونين ، اللهمَّ قاتلِ الكفَرةَ الذين يكذِّبون رسولَك ويصدُّون عن سبيلِك واجعلْ عليهم رِجْزَك وعذابَك ، اللهمَّ قاتلِ الكفرةَ الذين أوتوا الكتابَ إلهَ الحقِّ » .

ثم تابعَ ﷺ مسيرَه إلى المدينةِ ، فلقيتْه حمْنةُ بنتُ

جحشٍ وقد نُعيَ إليها أخوها عبدُ الله بنُ جحش ، فاسترجعَتْ ـ أي قالتْ : إنا لله وإنَّا إليه راجعون ـ واستغفرَتْ له ، ثم نُعيَ إليها خالُها حمزةُ ، فاسترجعتْ واستغفرتْ له ، ثمَّ نُعيَ لها زوجُها مصعبُ بنُ عميرٍ ، فصاحتْ ووَلْولتْ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ زوجَ المرأةِ منها لَبمكانٍ » .

ثمَّ مرَّ ﷺ بدارٍ من دورِ الأنصارِ فسمعَ البكاءَ ، فرقَّ قلبُه وبكى ، ثم قالَ : « لكنَّ حمزةَ لا بواكيَ له » فلمَّا سمعَ سعدُ بنُ معاذٍ وأُسيدُ بنُ حُضَيرٍ قولَ رسولِ الله ﷺ : « لكنَّ حمزةَ لا بواكيَ له » ، أمرَ النساءَ أن يبكينَ عمَّ رسولِ الله ﷺ ، فلما سمعَ رسولُ الله بكاءهنَّ قال : « رحم اللهُ الأنصارَ ، فإن المواساةَ منهم ما عَتَمتْ لقديمةٌ ، مُروهنَّ فلْينصرِفْنَ » .

وجاءتْ أمُّ سعدِ بنِ معاذٍ تعدو نحوَ رسولِ الله

ﷺ وقد وقفَ على فرسِه ، وسعدُ بنُ معاذٍ آخـذٌ بعنـانِ الفـرسِ ، فقـالَ سـعدٌ : يـا رسـولَ الله أمّـي ، فقـالَ : مرحباً بهـا ، فدنَـتْ منـه حتـى تـأمَّلتْ رسـولَ الله ﷺ وقالتْ : أمَا إذْ رأيتُـك سـالماً فقـد أشـوَتْ ـ هـانتْ ـ المصيبةُ ، ثم عزَّاها رسول الله في ابنِها عمرِو بنِ معاذٍ ، ثم قـالَ لهـا : يـا أمَّ سـعدٍ أبشـري وبشِّـري أهليهـم أنَّ قتلاهـم ترافقوا في الجنةِ جميعاً ، وقد شُفِّعوا في أهليهم . فقالتْ : رضينا برسول الله ، ومـن يبكـي عليهـم بعـد هذا ؟ ثم قالتْ : أُدْعُ يا رسول الله لمن خُلِّفوا ، قـال : اللهم أذهبْ حزنَ قلوبِهم ، واجبرْ مصيبتَهم ، وأحسـنِ الخلفَ على من خُلِّفوا ، ثم قال : خلِّ أبا عمرو الدابةَ، فخلَّى سعدٌ الفرسَ فتبعَه الناس .

ثم مرَّ رسولُ الله ﷺ بامرأةٍ من بـني دينـارٍ ، وقـد أُصيبَ زوجُها وأبوها وأخوها ، فلمَّـا أُخبـرتْ بوفاتِهـم

قالتْ : فما فعل رسولُ الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمَّ فلانٍ ، هو بحمدِ الله كما تحبين ، فقالتْ : أرونيهِ حتى أنظرَ إليه ، فأُشيرَ لها إليه ، حتى إذا رأتْه قالتْ : كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ[1] .

لقد كانت هذه المواقفُ الإنسانيةُ العظيمةُ والشجاعةُ من الرجالِ والنساءِ بمثابةِ عزاءٍ لرسولِ الله ﷺ في عمِّه حمزةَ وفي جميع الشهداء الأبرار .

امرأةٌ عجوزٌ تفقدُ في ساعةٍ واحدةٍ الأبَ والأخَ والزوجَ ثم يكون جوابُها لدى سَماعِها هذا الخبرَ الذي يدكُّ الجبالَ ، ويخلعُ القلوبَ من الصدورِ ، فما فعل رسولُ الله ﷺ ؟ وحين أبصرتْه قالتْ : كلُّ مصيبةٍ بعدك سهلةٌ وهيِّنةٌ . لا شكَّ أنه الإيمانُ العميقُ ، واليقينُ

---

(1) جلل : هيِّنة سهلة .

الصادقُ ، والثقةُ المطلقةُ باللهِ ورسولِه ﴿ **رجالٌ صدقُوا ما عاهدُوا اللهَ عليه فمنهم مَن قضى نحبَه ومنهم من ينتظرُ وما بدَّلوا تبديلاً** ﴾[1]

فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى أهله أعطى سيفَه ابنتَه فاطمةَ وقال : اغسلي عن هذا دمَه يا بُنيَّة ، فوالله لقد صدقني اليوم .

وكذلك فعلَ عليٌّ ﷺ ، فقد أعطاها سيفَه وقال: فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال الرسول ﷺ : لئن كنتَ صدقتَ القتالَ ، لقد صدقَ معك سهلُ بنُ حنيفٍ وأبو دجانةَ .

ولا يُؤخذُ من قول رسول الله ﷺ هذا أنه خصَّ سهلَ بنَ حنيفٍ وأبا دجانةَ وأنكرَ مواقفَ بقيةِ الصحابةِ

---

[1] الآية ٢٣ من سورةِ الأحزاب .

وبخسَهم حقَّهم ، فقد سبقَ أنه أثنى على الكثيرِ منهم إن لم نقلْ جميعِهم ، فلقد أثنى على سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ وقال له وهو يدافعُ عنه والمشركون يحيطون به : « ارمِ سعدُ فداكَ أبي وأمي » .

وقال لِمَنْ مرَّ به ومعه نبْلٌ : «اُنثرْها لأبي طلحةَ» لِمَا رأى من شجاعتِهِ ورَمْيِه . وقال لطلحةَ بنِ عبيدِ الله : « قد أوجَبَتْ » أي وجبتْ لك الجنةُ ، وقال فيه: « مَنْ أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ يمشي في الدنيا وهو من أهلِ الجنةِ فلْينظرْ إلى طلحةَ بنِ عبيد الله » .

وقال عن أمِّ عمارةَ : « ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتلُ دوني » .

وقال لابنِها عبدِ الله بنِ زيدٍ : « باركَ الله عليكم من أهلِ بيتٍ ، مقامُ أمِّك خيرٌ من مقامِ فلانٍ وفلانٍ ».

فرضي الله عنهم أجمعين ، وقبِلَ عملَهم ، وشكرَ

سعيَهم ، وغفرَ ذنوبَهم ، وجعلَهم في أعلى علِّيين ﴿ **مع النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً** ﴾[1].

شماتةُ اليهود والمنافقين

جعلَ المنافقونَ وعلى رأسِهم عبدُ الله بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ يُظهرون فرحَهم وشماتَتهم بما أصابَ المسلمين .

فقال عبدُ الله بنُ أُبَي لابنِه عبد الله : ما كان خروجُك معه إلى هذا برأيٍ ، عصاني محمدٌ وأطاعَ الولدانَ ، والله لكأني كنتُ أنظرُ إلى هذا . فقال ابنُه : الذي صنعَ اللهُ لرسولِه وللمسلمين خيرٌ .

وكذلك أظهرَ اليهودُ الفرحَ فقالوا : ما محمدٌ إلا

---

(1) الآية ٦٩ من سورة النساء .

طالبُ مُلكٍ ، ما أُصيبَ هكذا نبيٌّ قطٌّ ، أُصيبَ في بدنِه وأُصيبَ في أصحابِه .

وقال المنافقونَ للمسلمين : لو كانَ مَنْ قُتلَ منكم عندَنا ما قُتلَ . فسمعَ سيدُنا عمرُ هذه المقالةَ ، فذهب إلى رسولِ الله ﷺ يستأذنُه في قتلِ مَن قال ذلك من اليهودِ والمنافقين ، فقال له النبيُّ ﷺ : « يا عمرُ ، إنَّ اللهَ مظهرُ دينِه ومعزٌّ نبيِّه ، ولليهودِ ذمَّةٌ فلا أقتلُهم » .

قال : فهؤلاء المنافقون ؟

قال : « أليسَ يُظهرون شهادةَ أنْ لا إله إلا الله وأنّي رسولُ الله ؟ » .

قال : بلى يا رسولَ الله ، وإنّما يفعلون ذلك تعوُّذاً من السيفِ فقد بانَ لنا أمرُهم ، وأبْدى الله أضغانَهم .

فقال : « نُهيتُ عن قتلِ مَنْ قال : لا إله إلا الله

وأني رسول الله ، يا ابنَ الخطَّابِ إنَّ قريشاً لن ينالوا منّا مثلَ هذا اليومِ حتى نستلمَ الرُّكنَ » يريدُ حتى يفتحَ الله عليهم مكةَ .

وقد كان كما قال عليه الصلاة والسلام .

وفي قولِ المنافقين هذا أنزلَ الله عزَّ وجلَّ قولَه :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تكونوا كالَّذين كفرُوا وقالوا لإخوانِهم إذا ضربوا في الأرضِ أو كانُوا غُزًّى لو كانُوا عندَنا ما ماتُوا وما قُتلوا ليجعلَ الله ذلكَ حسرةً في قلوبِهم والله يُحيي ويُميتُ والله بما تعملون بصيرٌ ﴾[1].

[1] الآية ١٥٦ من سورة آل عمران .

الخاتمة

عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال : استُشهدَ أبي بأُحُدٍ فأرسلني أخواتي إليه بناضحٍ لهنَّ فقلْنَ : اذهبْ فاحتملْ أباك على هذا الجملِ فادفنْه في مقبرةِ بني سلمة . قال : فجئتُه وأعوانٌ لي فبلغَ ذلك نبيَّ الله ﷺ وهو جالسٌ بأُحد ، فدعاني فقال : والذي نفسي بيدِه لا يُدفَنُ إلاّ مع إخوتِه . فدُفنَ مع أصحابه بأُحُد .

وعنه أيضاً قال : لَمّا أجرى معاويةُ العينَ عند قتلى أحدٍ بعد أربعين سنةً استقرضناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابتِ المسحاةُ قدمَ حمزةَ فانبعث دماً .

وفي رواية : فأخرجناهم كأنَّما دُفنوا بالأمس .

وذكر الواقديُّ أنَّ معاويةَ لَمّا أرادَ أن يُجريَ العينَ نادى مناديه : مَنْ كانَ له قتيلٌ بأُحد فلْيشهدْ ، قال

جابر : فحفرنا عنهم فوجدتُ أبي في قبرِه كأنما هو نائمٌ على هيئتِه ، ووجدنا جارَه في قبرِه عمرَو بن الجموح ويدُه على جُرحِه فأُزيلتْ عنه فانبعثَ جرحُه دماً .

ويُروى أنه فاحَ من قبورِهم مثلُ ريحِ المسكِ ، وذلك بعد ستٍّ وأربعين سنةً من يومِ دُفنوا رضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعل الجنةَ مثواهم .

وعن جابرٍ أنه لما قُتلَ أبوه جعلَ يكشفُ الثوبَ ويبكي ، فنهاه الناسُ، فقالَ رسول الله ﷺ : « تبكيه ؟ أو لا تبكيه ، لم تزلِ الملائكةُ تُظِلُّه حتى رفعتموه » .

وعن عائشةَ قالتْ : قال رسول الله ﷺ لجابرٍ : « يا جابرُ ألا أبشِّرُك ؟

قال : بلى ، بشَّرك الله بالخير .

قال : أَشَعرْتَ أنَّ الله أحيا أباك فقال : تمنَّ عليَّ عبدي ما شئتَ أُعطكَه .

قال : يا ربِّ عبدتُك خيرَ عبادتك أتمَّنى عليك أن تردَّني إلى الدنيا فأقتلَ مع نبيِّك وأُقتلَ فيك مرةً أخرى .

قال : إنه سلفَ مني أنه إليها لا يرجعُ » .

وفي رواية : « إنه قد سبقَ مني القولُ أنهم إليها لا يرجعون » .

وعن أبي هريرةَ « أن رسولَ الله ﷺ حين انصرفَ من أحدٍ مرَّ على مصعبِ بنِ عميرٍ وهو مقتولٌ على طريقِه ، فوقفَ عليه فدعا له ثمَّ قرأ : ﴿ **من المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدُوا الله عليهِ** ﴾ ثم قال: أشهدُ أنَّ هؤلاء شهداءُ عند اللهِ يومَ القيامةِ ، فأْتوهم وزورُوهم ، والذي نفسي بيده لا يُسَلِّمُ عليهم أحدٌ إلى يومِ القيامةِ إلا رَدُّوا عليه السلامَ » .

وعن أبي هريرةَ قال : كان النبيُّ ﷺ يأتي قبورَ الشهداءِ ، فإذا أتى فُرضَةَ الشِّعبِ قال : « السلامُ

عليكم بما صبرتُم فنعمَ عُقبى الدارِ » ، ثم كان أبو بكرٍ ﷺ بعد النبيِّ ﷺ يفعلُه ، وكان عمرُ ﷺ بعد أبي بكرٍ يفعلُه ، وكان عثمانُ ﷺ بعد عمرَ يفعلُه .

قال الواقديُّ : كان النبيُّ ﷺ يزورُهم كلَّ حولٍ فإذا بلغَ نقرةَ الشِّعبِ يقول : « السلامُ عليكم بما صبرتُم فنعمَ عقبى الدارِ » ، ثم كان أبو بكرٍ يفعل ذلك كلَّ حولٍ ، ثم عمرُ ثم عثمانُ ، وكانت فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعدٌ يسلِّمُ ثم يُقبلُ على أصحابِه فيقولُ : ألا تُسلِّمون على قومٍ يردُّون عليكم .

وعنِ العطافِ بنِ خالدٍ قال : حدَّثَتْني خالتي قالتْ : ركبتُ يوماً إلى قبورِ الشهداءِ فنزلتُ عندَ حمزةَ، فصلَّيتُ ما شاءَ الله أنْ أصلِّي ، وما في الوادي داعٍ ولا مجيبٌ إلاّ غلاماً قائماً آخذاً برأسِ دابَّتي ، فلمّا

فرغتُ من صلاتي قلتُ هكذا بيدي : السلامُ عليكم ، قالتْ : فسمعتُ ردَّ السلامِ عليَّ يخرجُ من تحتِ الأرضِ أعرفُهُ كما أعرفُ أنَّ اللهَ عزّ وجلَّ خلقني ، وكما أعرفُ الليلَ والنهارَ ، فاقشعرَّتْ كلُّ شعرةٍ منّي .

وقال فيهم رسولُ الله ﷺ : « لَمّا أُصيبَ إخوانُكم يومَ أُحدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في جوفِ طيرٍ خضْرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنّةِ وتأكلُ من ثمارِها وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلِّ العرشِ ، فلمّا وجدوا طِيْبَ مأكلِهم ومشربِهم ومَقيلِهم ، قالوا : مَنْ يبلِّغُ إخوانَنا عنّا أنّا أحياءٌ في الجنّةِ نُرزَقُ ، لئلاّ ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهادِ ، فقال اللهُ عزّ وجلّ : أنا أبلِّغُهم ، فأنزلَ الله تعالى في الكتابِ قولَه : **﴿ ولا تَحسبنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزَقونَ ﴾** » .

فقال : أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلــكَ رسـولَ الله ﷺ فقال : « أرواحُهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ تسـرحُ في أيِّهـا شاءتْ ثم تأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ بالعرشِ ، قال : فبينما هم كذلكَ إذِ اطَّلعَ عليهم ربُّكَ اطِّلاعةً فقال : اسألوني ما شئتُم ، فقالوا : يا ربَّنا وما نسـألُكَ ونحـنُ نسـرحُ في الجنّةِ في أيِّها شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاثَ مرّاتٍ ، فلمّـا رأوا أنْ لنْ يُتركوا من أنْ يُسألوا قالوا : نسألُكَ أنْ تـردَّ أرواحَنـا إلى أجسـادنا في الدنيـا نُقْتَـلُ في سـبيلِكَ مـرَّةً أخرى ، قـال : فلمّـا رأى أنَّهــم لا يســألونَ إلاّ هــذا تُرِكوا » .

فرضيَ اللهُ عن جميـعِ شـهداءِ أُحـدٍ ، وعـن جميعِ شهداءِ الإسلامِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وقَبِـلَ عملَهـم ، وشـكرَ سـعيَهم ، وغفـرَ ذنوبَهـم ، وأسـكَنَهم فسـيحَ جنّاتِه ..

غزوةُ حمراء الأسدِ

بعدَ أَنِ انتهتْ غـزوةُ أُحـدٍ ، رجـعَ المسـلمونَ إلى المدينةِ المنوَّرةِ بقيـادةِ رسـولِ الله ﷺ مُثقَلـينَ بـالجراحِ ، وقد قدَّمـوا سـبعينَ شـهيداً لم تَجـفَّ دمـاؤهم ، ولكـنَّ أرواحَهـمُ المعنويـةَ كـانتْ مرتفعـةً جـدّاً ، لدرجـةِ أنَّ بعضَهم أشارَ على رسـولِ الله ﷺ أن يتعقَّـبَ العـدوَّ ، غيرَ ملتفتينَ إلى الجراحِ الفاشيةِ فيهم ، وكـثرةِ الشـهداءِ في صفوفِهم .

أمّا المشركونَ فقدْ رجعوا بنصرٍ أشبهَ بالهزيمةِ ، فلا محمداً قتلوا ، ولا المدينةَ دخلوا ، ولا من عزيمةِ المسلمينَ نالوا ، فحينَ فكَّروا بالكرَّةِ على المسلمينَ لاسـتئصالِهم، قال لهم صفوانُ بنُ أميّةَ : (اِرجعوا والدولةُ لكم ، فإنّي لا آمَنُ إنْ رجعتُم أنْ تكونَ الدولةُ عليكم) .

وقال آخرُ : (لا محمداً قتلتُم ، ولا الكواعبَ أردفتُم ، بئسما صنعتُم) .

خروجُ المسلمين في أَثَرِ العدوِّ

بعد أن طلعَ الفجرُ وأذّنَ بلالٌ بالصلاة ، جاءَ عبدُ الله بنُ عمرو المزنيُّ فأخبرَ النبيَّ ﷺ أنَّه سمعَ زعماءَ قريشٍ يقولون : ما صنعتُمْ شيئاً ! أصبتُم شوكةَ القومِ وحدَهم ثم تركتموهم ولم تُبيدوهم ، قد بقيَ منهم رؤوسٌ يجمعونَ لكمْ ، فارجعوا واستأصلوا منْ بقيَ . وصفوانُ بنُ أميّة يأبى عليهم ويقولُ : لا تفعلوا ، فإنَّ القومَ قد حربوا ـ غضبوا ـ وأخافُ أنْ يجتمعَ عليكمْ مَنْ تخلَّفَ من الخزرجِ ، فارجعوا والدولةُ لكم ، فإنّي لا آمَنُ إنْ رجعتُم أن تكونَ الدولةُ عليكم .

فقال النبيُّ ﷺ : « أرشدَهم صفوانُ وما هو

برشيد ، والذي نفسي بيدِهِ لقد سُوِّمَتْ لهـمُ الحجـارةُ ، ولو رجعوا لكانوا كأمسِ الذاهبِ » .

فقـال أبـو بكـرٍ وعمـرُ : يـا رسـولَ الله ، اُطلُـبِ العدوَّ ، لا يقتحمونَ على الذُّرِّيَّةِ .

فأمرَ رسولُ الله ﷺ بلالاً فنادى : إنَّ رسـولَ الله ﷺ يأمرُكم بطلبِ العدوِّ ، ولا يخرجْ معنا إلاّ مَنْ شـهِدَ القتالَ بالأمسِ .

و لم يَكَدِ المسلمونَ يسمعونَ نـداءَ بـلالٍ بـالخروج حتى أخذوا يتسابقونَ إلى رسولِ الله ﷺ ، على الرغـمِ من الجراحِ الفاشيةِ فيهم ، حتى إنَّ منهم مَنْ تركَ دواءَهُ وخرجَ .

فهذا سعدُ بـنُ معـاذٍ لم يكـدْ يسـمعُ النـداءَ حتـى خرجَ من دارِهِ يأمرُ قومَه بالخروج ، فقـال : إنَّ رسـولَ الله ﷺ يأمرُكم أنْ تطلبوا عدوَّكم .

فقـامَ أسـيدُ بـنُ حضـيرٍ فقـال : سمعـاً وطاعــةً للهِ ورسولِهِ ، ثمَّ أخذَ سـلاحَه ولحـقَ برسـولِ الله ﷺ وبـه سبعُ جراحاتٍ .

وانطلـقَ سـعدُ بـنُ عُبـادةَ وأبـو قتــادةَ إلى طائفــةٍ فبادروا جميعاً .

وخرجَ من بني سلمةَ أربعـونَ جريحـاً ، وبـالطُّفيلِ ابنِ النعمانِ ثلاثةَ عشـرَ جُرحـاً ، وبِخـراشِ بـنِ الصِّمَّـةِ عشـرُ جراحـاتٍ ، حتـى وافَـوا رسـولَ الله ﷺ ، فلمّـا رآهم قال : « اللهمَّ ارحمْ بني سلمةَ » .

وهذان عبدُ الله ورافعٌ ابنا سهلِ بنِ رافعٍ قد رجعا من أُحدٍ وبهما جراحٌ كثيرةٌ ، فخرجـا يزحفـانِ فاشـتدَّ الألمُ برافعٍ فحملَه عبدُ الله علـى ظهـره حتـى انتهيـا إلى رسولِ الله ﷺ ، فلمّا رآهمـا قـال : « إنْ طـالتْ بكـم مدَّةٌ كانتْ لكم مراكبُ من خيلٍ وبغـالٍ وإبلٍ ، وذلك

ليس بخيرٍ لكم)) .

بهذه الإرادةِ الحُرَّةِ ، وبهذه الرُّوحِ العاليةِ ، خرجَ المسلمونَ لتنفيذِ أمرِ رسولِ الله ﷺ ، لم يلتفتوا لجراحاتِهم ، ولم يشعروا بآلامهم ، ولم يُحسُّوا بنزيفِ دمائهم ، فطاعةُ الله والرسولِ والاستجابةُ لأمرهما ونيلُ مرضاتِهما فوقَ الآلامِ ، وفوقَ الجراحِ ، وفوقَ نزيفِ الدِّماءِ .

فلا غرْوَ إذنْ أن ينزلَ الثناءُ العَطِرُ من فوقِ سبعِ سماواتٍ يُخلِّدُ ذِكراهم ويمدحُهم ، ويَعِدُهم بالأجرِ والمثوبةِ والرضوانِ ، وينزلُ فيهم قولُه تعالى : ﴿ **الذينَ استجابوا للهِ والرسولِ منْ بعدِ ما أصابهمُ القرْحُ للذينَ أحسنوا منهم واتَّقوا أجرٌ عظيمٌ*الذينَ قالَ لهمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قدْ جمعوا لكم فاخشَوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونِعْمَ الوكيلُ * فانقلبوا بنعمةٍ من**

ا للهِ وفضلٍ لم يمسسْهم سوءٌ واتَّبعوا رضوانَ ا لله وا للهُ ذو فضلٍ عظيمٍ * إنَّما ذلكمُ الشَّيطانُ يُخوِّفُ أولياءَهُ فلا تخافوهم وخافونِ إنْ كنتمْ مؤمنينَ ﴾[1].

[1] الآيات ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ من سورة آل عمران .

معجزاتٌ وقعتْ يومَ أُحُدٍ

١ ـ نزولُ الملائكة :

لقد تحدَّثَ القرآنُ الكريمُ في أكثر من موضعٍ عن نزولِ الملائكةِ يومَ بدرٍ وأحدٍ وغيرهما لتكثيرِ عددِ المسلمينَ ، وتثبيطِ همَمَ المشركين ، وإيقاعِ الخوفِ والوجَلِ في قلوبِهم من جهةٍ ، ورفعِ معنوياتِ المسلمينَ ومساعدتِهم من جهةٍ أخرى ، قال تعالى : ﴿ **إذْ تستغيثونَ ربَّكمْ فاستجابَ لكم أنّي مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكةِ مُرْدفينَ** ﴾[1].

ولقد تحقّقَ وعدُ الله فكانَ هذا الإمدادُ يومَ بدرٍ ، روى البخاريُّ بسنده عن أبي أمامةَ سهلٍ بن حنيفٍ عن أبيه قال : « لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ وإنَّ أحدَنا يشيرُ

---

[1] الآية ٩ من سورة الأنفال .

بسيفهِ إلى المشركِ فيقعُ رأسُه عن جسدهِ قبل أنْ يَصِلَ إليه السيفُ » .

وعن أبي واقدٍ الليثي قال : « إنّي لأتْبعُ يومَ بدرٍ رجلاً من المشركينَ لأضربَهُ فوقعَ رأسُه قبل أن يصلَ إليه سيفي » .. هذا وقد ذكرتُ هذا وغيرَه في غزوةِ بدرٍ فلْتُراجعْ .

وأنكرَ بعضُهم مطلقَ الإمدادِ بالملائكةِ يومَ بدرٍ وغيرها قائلاً :

إنَّ المَلَكَ الواحدَ يكفي في إهلاكِ أهلِ الأرضِ ، كما فعلَ جبريلُ عليه السلام بمدائنِ قوم لوطٍ عليه السلام ، فإذا حضرَ هو بدراً فأيُّ حاجةٍ إلى مقاتلةِ الناسِ مع الكفّارِ ، وبتقديرِ حضورِه أيُّ فائدةٍ في إرسالِ الملائكةِ ؟!

الجوابُ كما قال بعضُ المحققين : إنَّ التكليفَ ينافي الإلجاءَ ، وإنَّه تعالى وإنْ كانَ قادراً على إهلاكِ

جميعِ الكفّارِ في لحظةٍ واحدةٍ بمَلَكٍ واحدٍ بل بلا سببٍ ، لكنَّ حكمتَه اقتضتْ إظهارَ هذا الدينِ على مهلٍ بواسطةِ الدعوةِ وبطرقِ الابتلاءِ والتكليفِ ، مراعاةً لصورةِ الأسبابِ وسُنَّتِها .

ولقد ثبتَ هذا الإمدادُ في بدرٍ وغيرها ، ويكفي لإثباتِهِ والإيمانِ به أنَّ القرآن الكريمَ تحدَّث عنه ، وعلينا الإيمانُ به كيفَ كانَ ، سواءٌ أنَّ الملائكةَ أجسامٌ نورانيّةٌ لا تُرى بالأعينِ ، أم تصوّرتْ بصورِ أشخاصٍ معيَّنينَ وشوهدَتْ ، وعلى التقديرينِ لهمُ الظهورُ في صورِ بني آدمَ مثلاً ولا يلزمُ من ذلك رؤيةُ النّاسِ لهم ، لجوازِ إحداثِ أمرٍ مانعٍ عنها إمّا في الرَّائي وإمَّا في المرئي ، ولا مانعَ من أنَّهم يُرَونَ أحياناً ويُخفَونَ أحياناً ، ويُرى البعضُ ويُخفى البعضُ ، وزمامُ ذلك بيدِ الحكيمِ الخبيرِ.

ثم تحدَّثَ القرآنُ الكريمُ عن نزولِ الملائكةِ يومَ

أحدٍ فقال : ﴿ إذْ تقولُ للمؤمنينَ ألَنْ يكفيَكم أنْ يُمِدَّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنْزَلينَ * بلى إنْ تصبروا وتتَّقوا ويأتُوكم من فورِهِم هذا يُمْدِدْكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسَوِّمينَ * وما جعلَهُ الله إلاّ بُشرى لكم ولِتَطْمَئِنَّ قلوبُكم بهِ وما النَّصرُ إلاّ من عندِ الله العزيزِ الحكيمِ * لِيقطعَ طرَفاً من الذينَ كفروا أو يكبتَهم فينقلبوا خائبينَ ﴾[1] .

روى البخاريُّ بسنده عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ﷺ قال : « رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ أُحدٍ ومعه رجلانِ يُقاتلانِ عنه عليهما ثيابٌ بيضٌ كأشدِّ القتالِ ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ » .

وعند مسلمٍ عن سعدٍ أيضاً قال : « رأيتُ عن

---

(1) الآيتان ١٢٤ - ١٢٧ من سورة آل عمران .

يمينِ رسولِ الله ﷺ وعن شِمالهِ يومَ أُحدٍ رجلين عليهما ثيابٌ بيضٌ ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ » يعني جبريلَ وميكائيلَ يُقاتلان عنه كأشدِّ القتالِ .

روى الطبرانيُّ « أنَّ النبيَّ ﷺ سألَ الحارثَ بنَ الصِّمَّةِ عن عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ فقال : هو بجنبِ الجبلِ ، فقال ﷺ : إنَّ الملائكةَ تُقاتلُ معه .

قال الحارثُ : فذهبتُ إليه فوجدتُ بين يديه سبعةً ، فقلتُ ظَفِرَتْ يمينُكَ ، أَكُلُّ هؤلاءِ قتلتَ ؟

قال : أمّا هذا وهذا فأنا قتلتُهما ، وأمّا هؤلاءِ فقتلَهم مَنْ لم أرَهُ !!

فقلتُ : صدقَ الله ورسولُه » .

وروى ابنُ سعدٍ « أنَّ مصعبَ بنَ عميرٍ لَمّا قُتِلَ أخذَ اللواءَ ملَكٌ في صورتِهِ ، فجعلَ ﷺ يقولُ : تقدَّمْ يا مصعبُ ، فالتفتَ الملَكُ إليه وقال : لستُ بمصعبٍ ،

فعرَفَ أنَّه ملَك أُيِّدَ به » .

وروى ابنُ إسحاقَ أنَّ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ قال : « كنتُ أرمي بالسَّهمِ يومئذٍ فيردُّه عليَّ رجلٌ أبيضُ حَسَنُ الوجهِ ما كنتُ أعرفُه ، فظننتُ أنَّه ملَكٌ » .

٢ـ وترُ قوسِ عكاشةَ بنِ محصنٍ ﷺ :

وذلك أنَّ عكاشةَ ﷺ كانَ يرمي عن قوسهِ مدافعاً عن رسولِ الله ﷺ حتى تقطَّعَ وترُه ، وبقيتْ في يدهِ قطعةٌ منه ، فأخذَه عكاشةُ ليضعَ له وتراً ، فقال : يا رسولَ الله ، لا يبلغُ الوترُ .

فقال رسولُ الله ﷺ : مُدَّهُ يبلغْ .

فقال عكاشةُ : فوالذي بعثَه بالحقِّ ، لَمدَدْتُه حتى بلغَ ، وطويتُ منه لفتَينِ على سِيَةِ القوسِ » وسيةُ القوس : طرفُه .

٣ - إلقاءُ النُّعاسِ على المؤمنين :

وذلكَ أنَّ المؤمنين أصابهمُ التعبُ والنُّعاسُ الشديدانِ ، فلم يستطيعوا النومَ ، والخائفُ مِنْ شأنِهِ أنَّه لا ينامُ ، فأصابهمُ النُّعاسُ وضربَ اللهُ على عيونِهم النومَ ، فأخذوا حظّاً وافراً من راحةِ الجسمِ والأعصابِ، قال تعالى : ﴿ **إذْ يُغشِّيكمُ النُّعاسَ أمَنةً منه ويُنزِّلُ عليكم مِنَ السماءِ ماءً لِيُطهِّرَكم بهِ ويُذْهبَ عنكم رِجْزَ الشيطانِ ولِيربطَ على قلوبكم ويُثبِّتَ به الأقدامَ** ﴾[1]، ﴿ **ثمَّ أنزلَ عليكمْ مِنْ بعدِ الغمِّ أمَنةً نُعاساً يغشى طائفةً منكم** ﴾[2].

عنِ الزبيرِ بنِ العوَّامِ ﷺ قال : « لقد رأيتُني معَ رسولِ الله ﷺ يومَ أُحدٍ حينَ اشتدَّ علينا الخوفُ

---

[1] الآية ١١ من سورة الأنفال .

[2] الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

وأُرسـلَ علينــا النــومُ ، فمــا منّــا أحــدٌ إلاّ وذقنُــه في صدرِهِ »[1].

وعن أبي طلحةَ ﷺ قال : « كنـتُ فيمـنْ تغشّـاهُ النعاسُ يومَ أُحدٍ ، حتى سقطَ سيفي مـن يـدي مـرارا ، يسقطُ وآخذُه ويسقطُ وآخذُه »[2].

٤ ـ غسلُ الملائكةِ لحنظلةَ ﷺ :

فحين استُشهدَ حنظلةُ بـنُ أبـي عـامرٍ ، وكـانَ في صبيحةِ يومِ أُحدٍ قد تزوَّجَ من جميلةَ أختِ عبدِ الله بـنِ أُبيّ ، فلمّا سمعَ مناديَ الجهـادِ خـرجَ قبـلَ أن يغتسـلَ ، فقاتلَ قتالاً شديداً حتى سقطَ شهيداً ، فقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ حنظلةَ لَتُغسِّلُه الملائكةُ » .

وعند ابنِ سعدٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « رأيتُ الملائكةَ تُغسِّلُ حنظلةَ بماءِ المزنِ في صحائفِ الفضّةِ بـين السـماءِ

---

(1) و (2) فلسفةُ البلاء .

والأرضِ . فسألَ الصحابةُ امرأتَه عنه ، فقالت : خرجَ وهو جُنُبٌ حين سمعَ الهاتفةَ » .

وفي غير موضعٍ قالتْ : إنّها رأتْ في المنامِ كأنَّ باباً من السماءِ قد فُتِحَ له فدخله ثم أُغلِقَ دونَه ، فعلمتُ أنَّه ميتٌ من غدِهِ .

ورويَ أنَّه التُمِسَ في القتلى فوجدوه يقطرُ رأسُه ماءً ، وليس بقربه ماءٌ .[1]

٥ً- انقلابُ العرجونِ سيفاً :

وذلكَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ جحشٍ ﷺ حينَ كانَ يُقاتلُ يومَ أحدٍ انقطعَ سيفُه، فأعطاهُ النبيُّ ﷺ عُرجوناً[2] فتحوَّلَ في يدِهِ سيفاً صارماً فجعلَ يُقاتلُ به ، وكانَ ذلكَ السيفُ يُسمّى (العرجون) ، ولم يزلْ يُتوارثُ

---

[1] الطبقاتُ الكبرى لابنِ سعد .

[2] العرجونُ : العودُ الأخضرُ .

حتى بيعَ بمائتي دينارٍ .

وهذا السيفُ غيرُ سيفِ عكاشةَ بنِ محصنٍ ﷺ الذي كان يُسمّى (العونَ) كما ذكرتُه في غزوةِ بدر .

٦ - ردُّ عينِ قتادةَ بنِ النعمانِ ﷺ : كما تقدّمَ في سيرِ الغزوة .

هذه بعضُ معجزاتٍ ظهرتْ يومَ أُحدٍ ، والوقوفُ على جميعِها أمرٌ شاقٌّ وعسيرٌ ، إذ أنَّ غزوةَ أُحدٍ بحدِّ ذاتِها معجزةٌ من المعجزاتِ ، كما أنَّ ما قامَ به أصحابُ النبيِّ ﷺ معجزاتٌ نادرةٌ ليسَ لها مثلٌ ولا نظيرٌ في دنيا الناسِ ، فهم يُعطُونَ البشريةَ دروساً نادرةً في النُّبْلِ والوفاءِ ، والتضحيةِ والفداءِ ، والشجاعةِ الفائقةِ التي تُذهلُ العقولَ وتُبهرُ الأبصارَ - لِيَصدُقَ فيهم قولُ الحقِّ تباركَ وتعالى : ﴿**رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾[1] .

---

[1] الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

دروسٌ وعِبَرٌ من غزوةِ أُحدٍ

بالتأمُّلِ في غزوةِ أحدٍ نرى أنَّها اشتملتْ على كثيرٍ من الدروسِ والمعجزاتِ والعِبَرِ والعِظاتِ ما يجعلُ الناسَ في عَزاءٍ ممّا أصابَهم ، بل لأدركوا أنَّه خيرٌ محضٌ أصابَهم من اللهِ عزّ وجلَّ ، ﴿ **لا تحسبوهُ شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم** ﴾ ، وبالعودةِ إلى أحداثِ الغزوةِ نلمسُ الحِكَمَ التاليةَ :

١ - كشفُ حقيقةِ المنافقينَ :

وعلى رأسِهم عدوُّ اللهِ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ بنِ سلولٍ ، وكان معه ثلاثمائةٍ من المنافقين فكانوا يُشكِّلونَ ثُلُثَ الجيشِ الإسلامي ، فلمّا قاربَ الجيشُ من الوصولِ إلى أُحدٍ رجعَ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ ومَنْ معه من أهلِ النِّفاقِ وهو يقولُ : عصاني وأطاعَ الوِلْدانَ ومَنْ لا رأيَ له ، ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا ؟! اِرجعوا أيُّها الناسُ .

وإلى انسحابِ المنافقينَ هذا يُشيرُ قولُه تعالى :

﴿ ولِيَعْلَمَ الذينَ نافقوا وقيلَ لهم تعالَوا قاتلوا في سبيلِ اللهِ أوِ ادفعوا قالوا لو نعلمُ قتالاً لاتَّبعناكم هم للكفرِيومئذٍ أقربُ منهم للإيمانِ يقولونَ بأفواههم ما ليسَ في قلوبِهم والله أعلمُ بما يكتمونَ ﴾ .

وبانسحابِ المنافقينَ ونزولِ هذه الآيةِ تتساقطُ الأقنعةُ ، وتزولُ الغِشاوةُ ، لِتُسفرَ عن وجوهٍ حاقدةٍ غادرةٍ لئيمةٍ ، ولتتبدَّى حقيقةُ المنافقينَ واضحةً جليَّةً ، وليظهرَ كيدُهم وتآمرُهم على المسلمينَ ليخذُلوهم وليتخلَّوا عنهم في وقتِ الشدّةِ، ولكنَّ الله لهم بالمرصادِ، فقد فضحَهم وبيَّنَ حقيقةَ أمرِهم ، وكشفَ ألاعيبَهم وعرَّاها أمامَ الرسولِ والمؤمنين ، وأنزلَ فيهم قرآناً يُتلى يدمغُهم ويفضحُهم إلى يومِ القيامةِ : **﴿ ولِيَعْلَمَ الذين نافقوا وقيلَ لهم تعالَوا قاتلوا في سبيلِ الله أوِ ادفعوا .. ﴾** .

٢ - تمحيصُ المؤمنين :

لقد كانتْ غزوةُ أحدٍ من أوَّلِها إلى آخرِها ابتلاءً للمؤمنين ، واختباراً لصبرِهم ، وامتحاناً لإيمانِهم ، وتمحيصاً لقلوبِهم ، تمحيصاً لقلوبهم بتنقيتِها وتهذيبِها ، فإنَّ القلوبَ بغلبةِ الطبعِ ، وميلِ الهوى ، وشهوةِ النفسِ، وتزيينِ الشيطانِ ، وحكمِ العادةِ ، يُخالطُها ما يُضَادُّ ما أُودِعَ فيها من الإيمانِ والإخلاصِ والصدقِ والوفاءِ والتقوى ، فلو تُركتْ بلا ابتلاءٍ ولا امتحانٍ ولا اختبارٍ ولا تمحيصٍ لم تتخلَّصْ من هذه المخالطةِ ، فاقتضتْ حكمةُ العليمِ الخبيرِ أنْ يمحِّصَها بما يكونُ كالدواءِ المُرِّ مذاقُهُ وفيه الشفاءُ ، فابتلاهم بما يُشبهُ الهزيمةَ بعدَ أنْ مالتْ كفَّتُهم ، وأصبحَ النّصرُ منهم كقابِ قوسينِ أو أدنى ، فصبروا وثبتوا وتابعوا قتالَهم واستبسالَهم ، لينزلَ الثناءُ العَطِرُ من فوقِ سبعِ سماواتٍ يمدحُهم ويُثني

عليهم ، قال تعالى : ﴿ وما أصابكمْ يومَ التقى الجمعانِ فبإذنِ اللهِ ولِيَعْلَمَ المؤمنينَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ ولِيَبْتليَ اللهُ ما في صدورِكم ولِيُمحِّصَ ما في قلوبِكم واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ﴾[2].

٣ ـ صبرُ رسولِ الله ﷺ ، وثباتُه مع المؤمنين ، واستسلامُه لأمرِ الله تعالى بعدَما أُصيبَ وجُرحَ ونزفَ دمُه الطاهرُ الزكيُّ :

حيثُ أنزلَ اللهُ عزّ وجلَّ قولَه : ﴿ ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يُعذِّبَهم فإنّهم ظالمونَ ﴾[3].

فقد رويَ أنَّ بعضَ أصحابِهِ قال : ألا دعوتَ اللهَ

---

[1] الآية ١٦٦ من سورة آل عمران .

[2] الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

[3] الآية ١٢٨ من سورة آل عمران .

عليهم يا رسولَ الله ؟ .

فقال ﷺ : « إنَّما بُعثتُ رحمةً و لم أُبعثْ لعّاناً »
فنزلتِ الآيةُ .

ولعلَّ الحكمةَ من إمساكِ النبيِّ ﷺ عن الدعاءِ عليهم ونزولِ الآية ، أنَّ الله عزّ وجلَّ قد سبقَ في علمهِ أنَّ من هؤلاءِ المشركينَ مَنْ سوفَ يَسلمُ ويتّبعُ النبيَّ ﷺ في دينه ، ويندمُ على قتالِه .

ورويَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « اللهمَّ العنْ فلاناً ، اللهمَّ العنْ فلاناً .. وذكرَ منهم الحارثَ بنَ هشامٍ ، وسهيلَ بنَ عمرو ، وصفوان بنَ أميةَ ، فنزلتْ الآية » وقد أسلمَ هؤلاءِ جميعاً وغيرُهم .

٤ ـ رجوعُ المشركينَ من حيثُ أتَوا دونَ أنْ يُحققّوا هدفَهم :

وهو قتلُ النبيِّ ﷺ ، واستئصالُ أصحابهِ ، ووأْدُ

دعوتِه ، بـل رجعـوا بنصرٍ أشـبهَ بالهزيمـةِ ، فلـم يقتلـوا محمداً ، و لم يستأصلوا أصحابَه ، و لم يسـتطيعوا القضـاءَ على دعوتِهِ ، و لم يتمكّنوا من دخـولِ المدينـةِ ، أو يَثنـوا من عزيمةِ المسلمين .

خاصّةً وقـد قـال صفـوانُ بـنُ أميـةَ لقريـشٍ حـين فكّروا بالكرَّةِ على المسلمينَ : اِرجعـوا والدولـةُ لكـم ، فإنّي لا آمَنُ إنْ رجعتُم أن تكونَ الدولةُ عليكم .

وقالَ آخرُ : لا محمداً قتلتُم، ولا الكواعبَ أردفتُم، بئسما صنعتُم .

وبنـاءً علـى هـذا فـإنَّ المسـلمينَ لم ينهزمـوا و لم يخسروا المعركـةَ بـل رجعـوا إلى المدينـةِ منتصريـنَ ، قـد دافعوا عنها وحَمَوها ، كما دافعوا عن رسـولِ الله ﷺ وحَمَوه .

٥ ـ عفوُ اللهِ تعالى عن الفارِّينَ :

وذلكَ إثْرَ مقتلِ مصعبِ بنِ عميرٍ الذي قتلهُ ابنُ قمئةَ فظنّه رسولَ الله ﷺ ، فقال : إنَّ محمداً قد قُتِلَ .

فلمّا سمعَ المسلمونَ هذا النبأَ ذُهلوا عن أنفسِهم ، وفُوجئوا به ، وعَظُمتْ عليهمُ البليّةُ ، وطاشتْ أحلامُهم ، فمنهم مَنْ ولّى هارباً حتى وصلَ المدينةَ ، ومنهم مَنِ انطلقَ صاعداً الجبلَ بعدَ أنْ ألقى سلاحَه من هولِ الفاجعةِ ..

إثْرَ هذه الهزيمةِ المؤلمةِ أنزلَ اللهُ عزّ وجلَّ قولَه :

﴿ حتى إذا فشلتُم وتنازعتُم في الأمرِ وعصيتُم من بعدِ ما أراكم ما تُحبُّونَ منكم مَنْ يريدُ الدنيا ومنكم مَنْ يريدُ الآخرةَ ثمَّ صرفَكم عنهم ليبتليَكم ولقد عفا

عنكم والله ذو فضلٍ على المؤمنين﴾[1]، ونزل قولُه تعالى: **﴿ إنَّ الذين تولَّوا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنَّما استزلَّهمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسبوا ولقد عفا اللهُ عنهم إنَّ اللهَ غفورٌ حليمٌ﴾**[2].

فلقد عفا الله عزّ وجلّ عن المؤمنينَ الذينَ فرُّوا من أرضِ المعركةِ وغفر لهم بنصِّ هاتين الآيتينِ، وذلك من فضلِ اللهِ عليهم ورحمتِهِ بهم، فإنَّهم لم يفرُّوا جُبناً ولا ضعفاً ولا خَوَراً، وإنَّما الحالةُ النفسيةُ التي كانت تنتابُهم وهولُ المفاجأةِ الذي أصابَهم كان شفيعاً لهم ومبرِّراً لفرارهم، روى البخاريُّ بسنده عن ابن عمرَ قال: «جاءَ رجلٌ حجَّ البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: مَنْ هؤلاء القعودُ؟

---

[1] الآية ١٥٢ من سورة آل عمران.

[2] الآية ١٥٥ من سورة آل عمران.

قالوا : هؤلاءِ قريشٌ .

قال : مَنِ الشيخُ ؟

قالوا : ابنُ عمرَ .

فأتاه فقال : إنّي سائلُك عن شيءٍ ، أتحدِّثُني ؟

قال : نعم .

قال : أنشُدُكَ بحرمةِ هذا البيتِ ، أتعلمُ أنَّ عثمانَ ابن عفانَ فرَّ من أُحدٍ ؟

قال : نعم .

قال : فتعلمُه تغيَّبَ عن بدرٍ فلم يشهدْها ؟

قال : نعم .

قال : فتعلمُ أنَّه تخلَّفَ عن بيعةِ الرضوانِ فلم يشهدْها ؟

قال : نعم .

قال : فكبّرَ الرجلُ ، قال ابنُ عمر : تعالَ لأخبرَكَ

ولأُبيِّنَ لكَ عمّا سألتَني عنه .

أمّا فرارُه يومَ أحدٍ ، فأشهدُ أنَّ اللهَ عفا عنه .[1]

وأمّا تغيُّبه عن بدرٍ ، فإنّه كانَ تحته بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ ، وكانتْ مريضةً ، فقالَ له النبيُّ ﷺ : « إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممّنْ شهدَ بدراً وسهمَه » .

وأمّا تغيُّبه عن بيعة الرضوانِ ، فإنَّه لو كانَ أحدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمانَ بنِ عفان لبعثَه مكانَه ، فبعثَ عثمانَ ، وكانتْ بيعةُ الرضوانِ بعدَما ذهبَ عثمانُ إلى مكةَ ، فقال النبيُّ ﷺ بيده اليمنى : « هذه يدُ عثمانَ ، فضربَ بها على يدِهِ فقال : هذه لعثمانَ » اِذهبْ بهذا الآنَ معك » .

---

[1] وذلك بنصِّ قولِه تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ تولَّوا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنَّما استزلَّهمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسبوا ولقد عفا اللهُ عنهم إنَّ اللهَ غفورٌ حليم ﴾ .

٦ ـ نتيجةُ مخالفةِ أمرِ النبيِّ ﷺ :

وهُمُ الرُّماةُ الذينَ عيَّنهمْ رسولُ الله ﷺ على الجبلِ ليَحمُوا ظهورَ المقاتلينَ ، ونهاهم عن مغادرتِهِ مهما كانتْ نتيجةُ المعركةِ ، فلمّا دارتِ الدَّائرةُ على المشركينَ وفرُّوا من أرضِ المعركةِ ، وأخذَ المسلمونَ يأخذونَ الغنائمَ ، قال الرُّماةُ : الغنيمةَ أي قومُ الغنيمةَ ، ظهرَ أصحابُكم فما تنتظرونَ ؟

فنهاهمْ أميرُهم عبدُ الله بنُ جبيرٍ ، وذكَّرهمْ بوصيةِ رسولِ الله ﷺ ، فقالوا : واللهِ لَنأتينَّ النّاسَ فلَنُصيبنَّ من الغنيمةِ . وثبتَ أميرُهم في نفَرٍ يسيرٍ دونَ العشرةِ ، وقال : لا أُجاوزُ أمرَ رسولِ الله ﷺ .

ولكنَّ الرُّماةَ أخلَوا أماكنَهم ، وغادروا الجبلَ الذي رآهُ خالدُ بنُ الوليدِ خالياً ، فكَرَّ على مَنْ بقيَ من الرُّماةِ فقتلَهم ، ولم يبقَ مَنْ يحمي ظهرَ المقاتلينَ ،

فكانتِ النتيجةُ المحزنةُ أَنِ انقلبَ النصرُ هزيمةً ، وقُتِلَ من المسلمينَ سبعونَ فارساً ، بسبب مخالفةِ أمرِ رسولِ الله ﷺ ، فلو ثبتَ الرماةُ في أماكنِهم ولم يُخالفوا أمرَ رسولِ الله ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى لَمَا كانتْ هذه النتيجةُ ، ولكنْ كانَ أمرُ اللهِ قدَراً مقدوراً .

ومن هنا نرى ثمراتِ طاعةِ رسولِ الله ﷺ ، لأنَّ طاعتَه طاعةٌ لله ، ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ الله ومَنْ تولَّى فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً** ﴾[1]، ﴿ **ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم من النّبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً * ذلكَ الفضلُ من الله وكفى بالله عليماً** ﴾[2] .

---

(1) الآية ٨٠ من سورة النساء .

(2) الآيتان ٦٩ ـ ٧٠ من سورة النساء .

تمت الرسالةُ

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ

وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّمَ

وإلى اللقاءِ مع غزوةِ الأحزاب (**الخندق**)

الفهرس

غزوة أحد

معارك عربيّة خالدة

٤

معركة الخندق

اعـــداد

عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

دار القلم العربي

منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الأولى

1421 - 1420 هـ 2000 م

عنوان الدار :

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي

ص.ب :78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

البريد الالكتروني : E-mail : qalam_arabi@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(و لما رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورسولُهُ وصدقَ اللهُ و رسولُهُ و ما زادَهُمْ إلا إيماناً وتسليماً .
من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه فمنهم مَنْ قضى نَحبهُ و منهم من ينتظرُ و ما بدّلوا تبديلاً)

صدق الله العظيم

(معركةُ الخندق)
و تُسمى أيضاً
(غزوةَ الأحزاب)

أولاً : سببُ تسميتِها .

أ- سُمِّيتْ بمعركةِ الخندق ، لأن المسلمين حفروا خندقاً كبيراً حولَ المدينةِ حالَ دون دخولِ الأحزاب .

ب- و سُمِّيَتْ أيضاً بغـزوةِ الأحـزاب ، لأنَّ قبـائلَ اليهودِ تحزّبوا مع بعـضِ قبـائلِ العـربِ لحـربِ المسلمين و القضاءِ على دعوتِهِم في المدينةِ المنورةِ، حين رأوا أنَّ المسلمين أثبتوا جدارتَهم بإقامةِ دولتِهِم، و حمايةِ دينِهم ، و الدفاعِ عن أنفسِـهِم و أموالِـهِم ومعتقداتِهِم ، وقد أصبحَ لهم بعد الهجرةِ قوةٌ و عَـدَدٌ وعُدَّةٌ لا سيما بعد أن خاضوا عـدةَ معـاركَ ضـدَّ المشركين و اليهود ، وانتصروا فيها انتصاراً سـاحقاً على الرغمِ من تفوّقِ المشركين بالرجـالِ والعتـادِ ، فانتشر خبرُهم بين القبائلِ، فهابوهم ، و حسبوا لـهم ألفَ حسابٍ .

شعر اليهودُ و المشركون بهذه الدولـةِ الفتيـةِ ، والقوةِ الصاعدةِ التي بسطَتْ نفوذَهـا حـولَ المدينـةِ ، وحَمَتْها ودافعَتْ عنها بكلِ بسالةٍ و شجاعةٍ ، و صـدقٍ وإخلاصٍ و تفانٍ .

ثانياً : زمانُها .

اتفقَ معظمُ مؤرخي التاريخِ الإسلامي و كُتّـــابِ السّـــيرِ على أنها وقَعَتْ في شوال سنةَ خمـــسٍ للـــهجرةِ علـــى صاحبِها أفضلُ الصلاةِ و أتمُّ التسليمِ .

ثالثاً : أسبابُ وقوعِها .

رجع المشركون من أحدٍ بعد أنْ فشلوا في تحقيق أهدافِهِم بقتلِ محمدٍ صلى الله عليه و سلم ووأدِ دعوتِـــهِ، واستئصالِ أصحابِهِ .

و لقد عبَّرَ أحدُ قادتِهِم عن ذلـــــك ، و صـــرّح بفشـــلِهِم ورجوعِهِم خائبين بقولِهِ :

(لا محمـــداً قتلتـــمُ ، و لا الكواعـــبَ أردفتُـــــم بئسما صنعتم)

و كان المشركون قد هـــدّدوا المســـلمين بـــالقتل والاستئصالِ بعد انصرافِهِم عن أُحُدٍ و فشلِهِم في تحقيـــق

أهدافِهِم ، وبقيَتْ فكرةُ القضاءِ على النبيّ صلى الله عليه و سلم وأصحابِهِ قائمةً بينهم إلى أنِ اتصلَ بهم زعمـــاءُ اليهودِ في المدينةِ ، و عرضوا عليهم أن يكونوا معاً يــداً واحدةً على قتالِ المسلمين حين رأوا فيهم خطراً حقيقيـــاً على مراكزِهِم ، و مصالحِهِم فيما يعتقدون .

(اتصالُ اليهودِ بالمشركين)

أولاً : اتصالُهم بقريشٍ .

و لاستكمالِ حلقةِ المؤامرةِ على المسلمين ، رأى اليهودُ و المشركون أن مصلحةً مشتركةً تجمعُ بينهم لقتال المسلمين و إبادتِهِم لاعتقادِهِم أنهم أصبحوا يشكلون خطراً على مصالِحِهِم المشتركةِ ، خاصةً و قد أصبح لهم في المدينةِ دينٌ له رجالُهُ و طقوسُهُ و أحكامُهُ و دولةٌ لها جيشٌ يحميها و يدافعُ عنها ، و يردُّ عنها غائلةَ المعتدين ، و ذلك أمرٌ لا يرضي اليهودَ ، بل يزعُجهم و يسيءُ إليهم .

و في المدينةِ ظهرَ المسلمون و قوِيَتْ شوكتُهم ، في حين تلاشى أمرُ اليهودَ ، و ضعُفَ شأنُهم على الرغم من موادعةِ المسلمين لهم ، وإبرامِ معاهدةٍ تضمنُ لهمُ العيشَ بسلامٍ مع المسلمينَ ، فقد رويَ أن النبيَّ

صلى الله عليه و سلم لم تمضِ له سوى مدةٍ قليلةٍ فـــي المدينةِ حتى اجتمعَ له إسلامُ عامةِ أهـــلِ المدينـــةِ مـــن العربِ ، فكتب كتاباً بين المهاجرين و الأنصـــارِ و ادَعَ فيه اليهودَ و عاهَدَهُم و أقَرَّهم على دينِهِم و أمـــوالِهِم ، و شرطَ لهم و اشترط عليهم .

و تعتبرُ هذه المعاهدةُ أساساً دســتورياً و إدارياً للدولة الإسلاميةِ الجديدةِ فقد قامَتْ على أتَمِ ما قد تحتاجُهُ الدولةُ من المقوّماتِ الدستوريةِ و الإداريةِ و لكنَّ اليـهودَ لما جُبلوا عليه من مكرٍ و خديعةٍ ، و نقــضٍ للعهـــودِ والمواثيق ، و ما رُكِّبَتْ عليه طبيعتُهم من غدرٍ وخيانـــةٍ

نقضوا عهدَ النبـــي صلى الله عليه و سلم وميثاقَـــهُ الذي واثقـــهم بـــه و أخـــذوا يحوكـــون المؤامـــراتِ ، ويـــتربصون بالمســـلمين ، ويؤلبـــون عليـــهم القبـــائلَ ويتآمرون على الإسلام بالليلِ والنهارِ ليطفِئوا نـــورَ اللهِ بأفواهِهِم ، و يأبى الله إلّا أنْ يُتِـــمَّ نـــورَه و لـــو كَـــرِهَ الكافرون .

فأخذوا يتصلون بحلفائِهِم من قريـــشٍ و غيرهـــا للتنسيق بشأنِ حربِ المسلمين . و الإغارةِ على المدينـــةِ لإبادةِ أهلِها .

فخرجَ نفرٌ من زعمائِهِم و قادتِهِم منهم : سلاّمُ بنُ أبي الحُقَيق النضريّ ، و حُييُّ بنُ أخطـــبَ النضـــريّ ، وكنانةُ بنُ الربيعِ بنِ أبي الحُقَيق ، و هوذة بــــنُ قيـــسٍ الوائليُّ ، و أبو عمارٍ الوائليُّ ، خرج هؤلاء في نفرٍ مــن بني النضيرِ ، و نفرٍ من بني وائلٍ ، و هُمُ الذين حزّبـــوا الأحزابَ و جمعوهُمْ على حربِ المســـلمين ، خرجـــوا بحّدِهم و حديدِهم و حقدِهِم و غيظهم حتى قَدِموا علــــى قريشٍ بمكةَ ، فدعوهم إلى قتالِ المسلمين ، و قالوا لهم : إنا سنكَوَنُ معكم على محمدٍ حتى نستأصلَهُ .

فقالَتْ لهم قريشٌ : يا معشرَ يهودَ ، إنكـــم أهـــلُ الكتابِ الأولِ و العلمِ بما أصبحنا نختلــــفُ فيـــه نحـــنُ ومحمدٌ ، افدينُنا خيرٌ أم دينُهُ ... ؟

قالوا : بل دِينكم خيرٌ من دينـــه ، وأنتـم أولـى بالحقِ منه .

و أخذوا يوغرون صدورَهم و يشحنونها عليـه ، و يؤلبونهم على قتالِهِ كي يضمنوا دعمَهم و تأييدَهم مـن النـواحي المعنويةِ و الماديةِ و العسكريةِ ، فإذا انضموا إليهم شكلوا قوةً كبيرةً يستطيعون بها القضاءَ على الدولةِ الإسلاميةِ الفتيةِ ، و استعادة مركزهم و سلطانهـم فـي المدينةِ ، و هما المركزَ و السلطانَ اللذان اعتقد اليهـودُ أنَ النبيَ صلـى الله عليـه و سـلم نافَسـهم عليـهما واستلَبهَمـا منهم ، و عليهم أن يسعوا لاستعادتهما بعـد أن تـناسـوا مـوادعةَ النبيّ صلى الله عليه و سـلم ، والمعاهدَةَ التـي أبرمتها معهم و عـاهَدهم عليـها أن يعيشوا مع المسلميـن بـأمنٍ و سـلامٍ ، و لـهم مـا للمسلمين و عليهم ما عليهم ولكـنْ طبيعتَـهمْ الخبيثـةَ وغدرَهم و مكرَهم و خيانتَهم جعلتهم يستبدلون بالإحسانِ إساءةً ، و بالمعروفِ منكراً، و بالأمنِ غدراً ، و بالسـلم حرباً ، و تلك طبيعتُهم ، وذلك شأنَهم ، الغدرُ والخيانـةُ،

و نقضُ العهودِ والذممِ و المواثيق (الذين عاهدْتَ منـــهم ثم ينقضون عهدَهُم في كلِ مرةٍ و همْ لا يتقون)[1]

(١) الآية ٥٦ من سورة الأنفال .

(ما نزلَ في اليهودِ من القرآن)

و لذلك فقد حَذَّرَ اللهُ تعالى المسلمين بل الإنسـانيةَ كلّها من شّرِ اليهودِ و فسادِهِم ، و غدرِهِم و مكرِهِـم ، ووصفَهم بالكذبِ و الخيانـةِ ، و التضليـلِ و التدليسِ والدّسِ ، و تحريفِ الكلمِ عن مواضعِه، فقال اللهُ تعـالى فيهم :(سماعون للكذبِ أكّالون للسـحتِ)[1] (وتـرى كثيراً منهم يسارعون في الإثـمِ و العـدوانِ و أكِلِهِمُ السحتَ لبئس ما كانوا يعملون)[2]

(لولا ينهاهُمَ الربانيون و الأحبارُ عـن قولِهِمُ الإثـمَ وأكِلِهِمُ السحتَ لبئس ما كانوا يصنعون)[3]

---

(١) الآية ٤٢ من سورة المائدة ، والسحت : كل ما خبـث و قبـح من المكاسب .(٢) الآية ٦٢ من سورة المائدة (٣) الآية ٦٣ من سورة المائدة

كما أوضحَ القرآنُ الكريمُ عداوتَهم للإسلامِ ، و تآمرَهم على أهلِهِ بقولِهِ تعالى : (لَتجَدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ و الذين أشركوا)[1]

و قال النبيَّ صلى الله عليه و سلم : (ما خلا يهوديٌّ بمسلمٍ إلا حَدّثَ نفسهُ بقتلِهِ)[2]

فكلُّ هذه الصفاتِ السيئةِ ، و الخصالِ الدنيئةِ إنما تدلُّ على أنهم حثالةُ البشرِ ، و أراذلُ الناسِ ، وشرارُ الخلقِ شَهِدَ بذلك القرآنُ الكريمُ ، و السنةُ النبويةُ المطهَرةُ ، والمصلحون الاجتماعيون ، و المفكرون المعتدلون في العالم ، و هذه شهادةُ يوسيفوس و هو مفكرٌ و مؤرخٌ يهوديٌّ حيثُ يقولُ : لا توجَدُ في الأرضِ أمةٌ في كلِ أجيالِ التاريخِ منذُ بدءِ الخليقةِ إلى الآنَ تحملَتْ ما تحَّملَ بنو إسرائيلَ من الكوارثِ و الآلام على أن هذه الكوارثَ و الآلامِ لم تكنْ إلا من صنعِ بني إسرائيلَ أنفسِهِم .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة . (٢) الجامع الصغير عن الخطيب بسند ضعيف .

فهذه شهادةُ مفكرٍ و مؤرخٍ منهم فيها اعـــترافٌ واضـــحٌ وصريحٌ بمساوئ بني إسرائيل و تنكُّبِهِم طريقَ الحــــقِ ، وتجنُّبِهِم سبيلَ الهدى و الرشادِ ، (وإن يروَا سبيلَ الرشْد لا يتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيلَ الغيِ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتِنا و كانوا عنها غافلين)[1]

و قال الله تعالى فيهم : (و إذ تأذَّنَ ربُّك ليبعثَنَّ عليـــــهم إلى يومِ القيامةِ من يسومُهُم سوءَ العذابِ إن ربَّكَ لسريعُ العقابِ و إنه لغفورٌ رحيمٌ . و قطّعناهم في الأرضِ أُمَماً منهمُ الصالحون و منهمٌ دونَ ذلك)[2]

و قال الله تعالى فيهم أيضاً : (لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ و عيسى بنِ مريمَ ذلـــك بمـــا عصَوا و كانوا يعتدون . كانوا لا يتناهَون عـــن منكـــرٍ فعلوهُ لبئس ما كانوا يفعلون)[3]

---

(١) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف . (٢) الآيتان ١٦٧-١٦٨ من ســورة الأعراف (٣) الآيتان ٧٨-٧٩ من سورة المائدة

و قال أيضاً : (ضُرِبَتْ عليهِمُ الذلةُ أينما ثُقِفوا إلّا بحبلٍ من اللهِ و حبلٍ من الناسِ وباءوا بغضبٍ من اللهِ وضُرِبَتْ عليهِمُ المسكنةُ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآياتِ اللهِ و يقتلون الأنبياءَ بغيرِ حقٍ ذلك بما عَصَوا و كانوا يعتدون)[1] والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جداً ، وهي بمجموعِها تفضحُ اليهودَ و تُعَرِّيهم ، و تكشفُ زيَفهم وأكاذيبَهم ، و خروجَهم عن طاعةِ اللهِ و رسلِهِ ، وصَدَّهم عن سبيلِ اللهِ ، و نقضَهُمُ العهودَ و المواثيقَ ، و مكرَهم و خديعَتهم التي عُرِفوا بها عَبر تاريخِهِمُ الطويل .

لقد نقضوا العهودَ و المواثيقَ التي عاهَدَهُمْ عليها النبيُّ صلى الله عليه و سلم في الوقتِ الذي كانوا فيه قلةً و ضعفاءَ لا دولةَ لهم و لا سلطانَ ، و مع ذلك

---

(١) الآية ١١٢ من سورة آل عمران

فقد كشفوا عن خبثـــهِم و مكرِهِــم و ســوءِ طويتِــهِم ، وغدروا بالمسلمين و تآمروا عليهم ، و بيتوا لهمُ القتــــلَ والتدمُّيرَ و الإبادةَ .

و ما انفكّوا حتى تاريخنا المعـــاصرِ يســـتهترون بالمجتمع الدولي ، و لا يقيمون وزناً للقيَمِ الأخلاقيــــة ، ولا للمعاييرِ الإنسانيةِ ، و لا للقوانيـــن العالميــةِ ، و لا للأعرافِ الدينيةِ و الدولية .

فكيف يُتَوَقَعُ منهمُ اليومَ الأمنُ و السلامُ ، و قــــد أصبحَ لهم دولةٌ و جيشٌ مُزَوَّدٌ بــــأحدثِ و أخطــرِ مـــا عرفتِ الدنيا من أسلحةٍ عدوانيةٍ فتاكــــةٍ ، و طـــائراتٍ حديثةٍ متطورةٍ ، و صواريخَ نوويةٍ عـــابرةٍ ، و تـــأييدٌ معنويٌ و ماديٌّ و عسكريٌ غــيرُ محــدود مــن دولـــةٍ عنصريةٍ قويةٍ و متغطرسةٍ تدّعي الديمقراطيــــةَ ، و لا تعرفُ معنى العدلِ و الإنصافِ و الإنسانيةِ .

إنَّ الذين يسعون لإقامةِ صلحٍ و سلامٍ مع هــؤلاءِ إنما يجرون وراء سراب بقيعة يحسبه الظمآن مـــاء ، أو ينفخون في قربة مخرقة لا تحمل ماء و لا تمسك هواء،

وقد علّمنا اللهُ تعالى كيفيةَ التعاملِ مع هؤلاءِ اليهودِ الماكرين و الغادرين بقولِهِ تعالى : (و أعِدّوا لهمْ ما استطعتمْ من قوةٍ و من رِباطِ الخيلِ ترهبون به عدوَّ اللهِ و عدوَّكم)[1]

إن اللغةَ الوحيدةَ التي يجبُ على أمتنا أن تخاطبَ بها قتلةَ الأنبياء هي قولُ الله تعالى : (يا أيها النبيُّ جاهدِ الكفارَ و المنافقين و اغلُظْ عليهِمْ و مأواهم جهنمُ و بئسَ المصيرُ)[2]

(قاتلوا الذين لا يؤمنون باللهِ و لا باليومِ الآخرِ و لا يحَرِمُون ما حَرَّمَ اللهُ و رسولُهُ)[3] ولا يتحققُ هذا إلا بجمعِ كلمةِ العربِ و المسلمين ، و توحيدِ صفِّهِم ، والاستعدادِ العسكري و السياسي ، و الأخذِ الصادقِ والجدّي بأسباب النصر ، و هو قولُ الحقِ تبارك وتعالى: (واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقوا)[4]

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الأنفال . (٢) الآية ٧٣ من سورة التوبة (٣) الآية ٢٩ من سورة التوبة (٤) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران

هذا هو المنطقُ السليمُ و التفكيرُ الصحيحُ للتعـــاملِ مـــع هؤلاءِ الصهاينةِ المعتدين ، لكسرِ شوكتِهِم ، و القضـــاءِ على غطرستِهِم ، و تخليصِ المسجدِ الأقصى و أهلِهِ من رجسِهِم و إعادةِ الأرضِ إلى أصحابِها الشرعيين .

إنَّ اليهودَ هُمْ أعداؤنا الحقيقيون قديمـــاً و حديثـــاً بنصِ قولِهِ تبارك و تعالى :

(لتجَدِنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنــــوا اليـــهودَ والذين أشركوا و لَتَجِدنَّ أقرَبَهم مودةً للذين آمنوا الـــذين قالوا إنا نصارى ذلك بأنَّ منهم قِسّيسين و رهباناً و أنـــهم لا يستكبرون)[1] صدق الله العظيم .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة

و في اجتماعِ اليهودِ بالمشركين في مكّة و إقامةِ حلـــفٍ مشترَكٍ بينهم لقتالِ رسولِ اللهِ صلى الله عليـــه و ســـلم أنزل الله عز و جل قولَهُ :

(ألم ترَ إلى الذين أُوتُوا نصيبـــاً مـــن الكتـــابِ يؤمنون بالجبتِ و الطاغوتِ و يقولـــون للذيـــن كفـــروا هؤلاءِ أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنـــهم اللهُ و مَنْ يلعنِ اللهُ فلنْ تجدَ له نصيراً . أم لهم نصيـــبٌ من الملكِ فإذاً لايُؤتون الناسَ نقيراً . أم يحسدون النـــاسَ على ماآتاهُمُ الله من فضلهِ فقد آتينا آلَ إبراهيمَ الكتـــابَ والحكمةَ و آتيناهمْ مُلكاً عظيماً . فمنهمَ مـــنْ آمَـــنَ بـــه ومنهم مَنْ صدَّ عنه و كفى بجهنمَ سعيراً)[1]

صدق الله العظيم .

ثانياً : اتصالُهم بغطفان .

ثم خرج أولئكَ النفرُ المذكورون من اليهودِ حتى

---

(١) الآيات ٥١ - ٥٥ من سورة النساء

قَدِموا غطفانَ فعرضوا عليهم فكرةَ قتالِ النبي صلى الله عليه و سلم ، و أخبروهم أنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجَتْ قريشٌ بقيادةِ أبي سفيان ، و غطفان بقيادةِ عُيينة بنِ حِصنٍ ، و خرج الحارثُ بنُ عوف بنِ أبي حارثةَ المريُّ في بني مرةَ ، و خرج مسعُر بنُ رُخَيلةَ ابنِ نويرةَ فيمن تابعَهُ من قومِهِ من أشجعَ .

خرجوا جميعاً بحدِهِمِ و حديدِهِمِ يُحادُّون اللهَ ورسولَهُ ، و يصدّونَ عن سبيلِ الله و رسولِهِ و قدِ اجتمعَ لهم أكثرُ من عشرةِ آلافِ مقاتلٍ ، و اتجهوا نحو المدينةِ المنورةِ لتنفيذِ ما اتفقوا عليه .



(موقفُ المنافقين و ضعافِ الإيمان)

لم يكدِ المنافقون يسمعون بمجيءِ الأحزاب حتى أخذوا يكشفون عن خفايا نفوسِهِم ، و يُفصحون عن حقيقةِ نفاقِهِم ، و ينكصون على أعقابِهِم ، و يتسللون لِواذاً هاربين من مواجهةِ الأحزاب ، مُتعّللين بأن بيوتَهَم مكشوفةٌ ، معتقدين أنهم بذلك يستطيعون أن يثبطوا هَمَمَ المسلمين ، و يوقِعوا الخوفَ و الذعَر في قلوبِهِم ليتركوا نصرةَ النبي صلى الله عليه و سلم ، و يخلوا بينه و بين الأحزاب ، و هُمْ يعلمون أن اللهَ عز و جل الذي نَصَرَ نبيَّه في بدرٍ و أحدٍ و غيرِهِما ، و الذي نصَرهُ يومَ الهجرةِ و أخرجَهُ من بين سيوفِ المشركين التي كانت مشحونةٌ حقداً و حسداً و كراهيةً ، مترقبةٌ في تَلَّهفٍ الفرصةَ السانحةَ لتنزلَ عليه ضربةٌ واحدةٌ ، فيتفرقَ دمُهُ

في القبائلِ فلا يستطيعُ بنو عبد منافٍ على حربِ قومـهِمِ جميعاً .

إن الذي أخرجه من بين أظهُرِهم ، و أنجاه مـن كيدِهِم وتآمرِهِم قادرٌ أن ينصرَهُ على الأحزابِ ، ويُقيضَ له مَنْ يحميهِ و يدافعُ عنه .

و لقد بيّن اللهُ عز و جـل مكرَهـم ، و أبطَـل كيدَهم، وفضحَ أمَرهم ، و كشفَ لرسـولِهِ صلـى الله عليه و سلم حقيقتَهُمْ في القرآنِ الكريمِ ، حيثُ قـال الله تعالى :(إنما المؤمنون الذين آمنوا باللهِ و رسـولهِ و إذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يسـتأذنوه إنَّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون باللهِ و رسولهِ فـإذا استأذنوك لبعضِ شأنِهِم فأْذَنْ لمن شئتَ منهم و اسـتغفِرْ لهمُ اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ . لا تجعلوا دعاءَ الرسـولِ بينكم كدعاءِ بعضِكم بعضاً قد يعلمُ اللهُ الذيـن يتسـللون منكم لِواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمرهِ أنْ تصيبَـهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليمٌ . ألا إنّ للهِ ما في السماواتِ

والأرضِ قد يعلمُ ما أنتم عليه و يومَ يُرْجَعـــون إليــه فينبئُهمْ بما عملوا و اللهُ بكل شيءٍ عليمٌ).[١]

و قال عنهم أيضاً : (و إذ يقولُ المنافقون و الذين فــي قلوبِهِمْ مرضٌ ما وَعَدَنا اللهُ و رسولُهُ إلّا غــرورا . و إذ قَالَتْ طائفةٌ منهم يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكـــم فــارجعوا ويستأذنُ فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إن بيوتَنا عورةٌ و مــا هي بعورةٍ إن يريدون إلا فِراراً . و لو دُخِلَتْ عليهم من أقطارِها ثم سُئِلوا الفتنةَ لآتوها و ما تلبثوا بها إلا يسـيراً و لقد كانوا عاهدوا اللهَ من قبلُ لا يُوَلّون الأدبارَ و كــان عهدُ اللهِ مسؤولاً . قلْ لن ينفعَكمُ الفِرارُ إن فَرَرْتم مــن الموتِ أوِ القتلِ و إذاً لا تُمتّعون إلّا قليلاً .

قُل من ذا الذي يعصمكم مِــنَ اللهِ إن أرادَ بكــم سوءاً أو أرادَ بكم رحمةً و لا يجدون لهمْ مِــنْ دونِ اللهِ ولياً و لا نصيراً .

---

(١)الآيات ٦٢ – ٦٤ من سورة النور .

قدْ يعلمُ اللهُ المَعوقِين منكم و القائلين لإخوانِهِم هلُمَّ إلينـــا ولا يأتون البأسَ إّلا قليلاً . أشِحَّةٌ عليكم فإذا جاءَ الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليكَ تدورُ أعْينُهم كالذي يُغشى عليه من الموتِ فإذا ذهبَ الخوفُ سلقوكُم بألسِنةٍ حِدادٍ أشِحَّةٌ على الخيرِ أولئكَ لم يؤمنوا فأحَبطَ اللهُ أعمالَهمْ و كـــان ذلـــك على اللهِ يسيراً . يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا و إنْ يـــأتِ الأحزابُ يَوَدَّوا لو أنهم بادون في الأعرابِ يسألون عـــن أنبائكم و لو كانوا فيكم ما قاتلوا إّلا قليلاً)[1]

صدق الله العظيم .

هذا هو موقفُ المنافقين و ضعـــــافِ الإيمـــانِ ، موقفُ يتَّسِمُ بالجُبنِ و الَخورِ و محاولةِ تثبيـــــطِ و همَـــمِ المسلمين ، والنيلِ من صمودِهمِ و عزمِهِم عنِ الدفـــــاعِ عن دينِهِمْ وعقيدتِهِمْ ، و الذودِ عن نبيِّهم و مدينتِهِمْ .

و لكنَّ هذا لم يكنْ يزيدُ المؤمنيـــــن إلا تصميمـــاً على القتالِ ، و ثباتاً وإيماناً و تسليماً لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ،

---

(١) الآيات ١٢ – ٢٠ من سورة الأحزاب

وصدق اللهُ العظيمُ إذ يقولُ في وصفِ عزيمةِ المسـلمين و ثباتـهِمِ ، و عـدمِ سـماعِهِم للدعايـاتِ المضللـةِ ، والأراجيفِ المغرضةِ و الأكاذيب المثبطةِ (و لمـا رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وَعَدَنـا اللهُ و رسـولهُ وصدقَ اللهُ و رسولهُ و ما زادَهُمْ إلّا إيماناً و تسليماً . مَن المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه فمنـهم مَنْ قضى نَحبهُ و منهم مَنْ ينتظرُ و ما بَدَّلـوا تبديـلاً . ليجزيَ اللهُ الصادقين بصدقِهِم و يعّذِبَ المنافقين إنْ شـاءَ أو يتوبَ عليهم إنَّ اللهَ كانَ غفوراً رحيماً)[1]

(١)الآيات ٢٢ – ٢٤ من سورة الأحزاب

(حفرُ الخندقِ)

بلغَ النبيَّ صلى الله عليه و سلم قدومُ الأحـــزاب إلى المدينةِ فجمع أصحابَهُ ، و أخذَ يشـــاورُهم بـــالأمرِ كعادتِهِ ، فأشارِ عليه سلمانُ الفارسيٌّ رضــــي اللهُ عنـــه بحفرِ خندقٍ حولَ المدينةِ فقال : يا رسولَ الله ، إنا كنـــا بفارسَ إذا حوصِرْنا حفرنا خندقاً يمنـــعُ مـــن وصـــولِ العدو.

فأعجبَ النبيَّ صلى الله عليه و سلم بهذا الرأي ، واقتنعَ به و استشار أصحابَهُ فوافقوا جميعاً عليه ، فـــأمَرَ النبيَّ صلى الله عليه و سلم بحفرِ الخنـــدقِ ، فســـارعوا بكل حماسٍ و شجاعةٍ لتنفيذِ أمرِهِ ، وردِّ الشرِ و العدوانِ عن مدينتِهِم ، و الدفاعِ عن عقيدتِهِم .

فجعلوا يحفرون الخندقَ و النبيَّ صلى الله عليـــه وسلم يحفرُ معهم و يشجِعُهم ، و يقوي قلوبَهم .جعل

النبيُّ صلى الله عليه و سلم يحفُر معهم وكأنه فردٌ منهم لا فرقَ بينَهُ و بينهم ، و هو الذي رفعَ شعارَ المساواةِ ، و طبَّقَهُ قولاً و عملاً ، و هو الذي قال الله عز وجل فيه:

(لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكُم عزيزٌ عليه ما عنتُّمْ حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم)[1]

و لا شكَّ أن هذه صفاتُ القائدِ الناجحِ الذي يحظى بطاعةِ جندِهِ و ثقتِهِم ، و الحاكمِ العادلِ الذي لا يفرقُ بين أفرادِ رعيتِهِ ، فيقبلون عليه طائعين بكلِ حبٍ و ثقةٍ و إخلاصٍ . خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً ليشرفَ على أعمالِ الحفرِ ، فشاهد المسلمين يحفرون في يومٍ باردٍ ، و أبصرَ ما بهم من جوعٍ ونَصَبٍ فقال : اللهمَّ إنَّ العيشَ عَيشُ الآخرة ، فارحمِ الأنصارَ و المهاجرة .

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة

فأجابوه قائلين :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهادِ ما بقينا أبدا

ثم اختلفَ الأنصارُ و المهاجرون : الأنصارُ يقولـــون : سلمانُ مِنّا . و المهاجرون يقولون : سلمانُ مِنّا .

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (سلمانُ مِنّـــا أهلَ البيتِ)

يقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه : لمّا كـان يومُ الأحزابِ ، و خندَقَ رســولُ اللهِ صلـــى الله عليــه وسلم، رأيتُهُ ينقلُ من ترابِ الخندقِ حتـــى وارى عنَــي الترابُ جلدةَ بطنِهِ ، و كان كثيرَ الشعرِ ، فسمعتُهُ يرتجزُ بكلماتِ عبدِ اللهِ بنِ رواحةً و هو ينقلُ الترابَ و يقولُ :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا و لا تصَدَّقْنا و لا صَـــلّينا

فأنزلَــنْ سكــينةً علــينا وَ ثَبِّتِ الأقدامَ إنّ لاقَــينــا

إنَّ الأُلى قـــد بغَوا علينا و إنْ أرادوا فتنةً أبــينـــا

هذا و المسلمون داخلَ المدينةِ ، الخوفُ يهّدِدُهُم ، وشبحُ الموتُ يخيمُ عليهم ، الأبصارُ شاخصةٌ ، والقلـوبُ متفطِّرة ، و النفوسُ متزلزلةٌ ، و الأفئدةُ مضطربةٌ و هم يدفعون ذلك ، و يقاومونه حتى انتصروا عليـــه ، فلــم يشعروا بخوفٍ ، و لم يُحسّوا بقلـــقٍ و لا اضطــرابٍ ، ولقد صوَّرَ القرآنُ الكريمُ هذا المشهدَ القاسيَ و الحرِجَ ، ووصفَ لنا الحالةَ النفسيةَ القلقةَ التي كـــان يمــرُّ بـــها المسلمون في تلك اللحظـــاتِ الحاســمةِ ، و الظــروفِ القاسيةِ ، و المواقفِ الحرجةِ بقولِهِ تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكـــــم إذ جاءَتكُمْ جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لــــم ترَوهــا وكان اللهُ بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم مـــن فوقِكــم ومن أسفلَ منكم و إذ زاغتِ الأبصارُ و بلَغتِ القلـــوبُ الحناجِرَ و تظُنّون باللهِ الظُّنُونا . هنالك ابتُلِيَ المؤمنـــون و زُلزِلوا زلزالاً شديداً)[1] صدق الله العظيم .

---

(١) الآيات ٩ – ١١ من سورة الأحزاب

(معجزاتٌ ظهرَتْ يوم)

الخندق

ظهرت يومَ الخندقِ معجزاتٌ كثيرةٌ لرســـولِ الله صلى الله عليه و سلم أهمُّـــها و أعظمُـــها المعجــزاتُ التاليةُ:

١-الصخرة .

جاء المسلمون يُهرَعون إلى النبي صلى الله عليه و سلم يشكون إليه صخرةً عظيمةُ اعــترضَتْ طريقَــهم وحالَتْ بينهم و بين الحفرِ ، فقام النبيُّ صلى اللهُ عليـــه وسلم فتناولَ معولاً و رفعه ثم أهوى به على الصخـــرةِ وقال : (و تمَّتْ كلمةُ ربِكَ صدقـــاً و عــدلاً لا مبــدلَ لكلماتِهِ وهو السميعُ العليم)[1]

---

(١) الآية ١١٥ من سورة الأنعام

فتحطَّمَ ثُلثُ الحجرِ ، و برقَ برقةً شديدةً أذهلَــت جميعَ الحاضرين ، فقال النبيُّ صلى الله عليه و ســلم : الله أكبرُ أعطيـــتُ مفــاتيحَ الشــام ، و اللهِ إنـــي لأرى قصورَها الحمراءَ الآنَ من مكاني هذا .

ثم ضربَ ضربةً أخرى و تـــلا نفــسَ الآيـــة ، وأهوى بالمعولِ فتحطَّمَ الثلثُ الآخرُ فقال : الله أكـــبر ، أُعطيتُ مفاتيحَ فارسَ ، و اللهِ إني لأرى قصرَ المدائـــنِ الأبيضَ الآن من مكاني هذا ، ثم ضرب ضربـــةً ثالثــةً وتلا نفسَ الآيةِ .

و أهوى بالمعولِ فتحطَّمَ الحجرُ ، فقال : الله أكبرُ أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ واللهِ إني لأرى بابَ صنعاءَ .

فقال المســلمون : يـــا رســولَ الله ، ادْعُ اللهَ أنْ يفتَحها علينا و يغنَمِنا ذراريهم ، و يخربَ بأيدينا بلادَهم، فدعا لهم بذلك .

و لقد أجابَ اللهَ تعالى دعاءَهُ ، و فتحَ لـــهم تلــك البلادَ في زمن عمرَ و عثمانَ رضي اللهُ عنهما ، و مَــنْ بعدَهما .

و في ذلك يقولُ النبيُّ صلى الله عليه و سلم : إذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعَده ، و إذا هلك كســـرى فــلا كسرى بعده ، و الذي نفسي بيدِهِ لتُنفَقَنَّ كنوزُهمـــا فـــي سبيلِ اللهِ .

فكان كما حَدَّثَ صلى اللهُ عليه و سلم كما ســيأتي بيانُهُ في المعاركِ القادمةِ من هذه السلسلةِ إن شـــاء الله تعالى .

و يقولُ النبيُّ صلى الله عليه و ســـلم : (إنَّ اللهَ زوى ليَ الأرضَ مشارقَها مغاربَها ، و سيبلغُ ملكُ أمتي ما زوى لي منها)[1] .

---

(1) زوى : جمع .

و كان المسلمون كلما فتحوا بلداً قال لـــهم أبـو هريرةَ : افتَتِحوا ما بدا لكم ، فو الذي نفسُ أبي هريـرة بيدِهِ ما افتتحتمُ من مدينةٍ و لا تفتحونها إلى يومِ القيامـةِ إلا و قد أعطى اللهُ سبحانَهُ محمداً صلى الله عليه و سلم مفاتيحَها قبل ذلك .

و بذلك تحققَ ما وَعَدَ رسولُ الله صلى الله عليه و سلم به أصحابَهُ و صدَقَ اللهُ ، و صدق رسولُهُ ، و كذبَ المنافقون الذين قالوا و هم يثبطـون هِمَمَ المسلمين ويقولون : يخبرُكم محمدٌ أنه يبصرُ من يثرب قصـورَ الحيرةِ ، و مدائنَ كسرى ، و قصورَ الشامِ و أنها تُفتَحُ لكم و أنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرّزوا...؟...!!

فلم يزِدْ هذا القولُ المؤمنين إلّا ثباتاً على الحق ، و اعتماداً على اللهِ ، و ثقةً بنصرِهِ و تأييدِهِ ، و ما زادهم إلّا إيماناً و تسليماً .

٢-(تمرُ بنتِ بشيرِ بنِ سعد)

تحدثُنا ابنةُ بشيرِ بنِ سعدٍ عمّا جرى معــــها يــومَ الخندقِ فتقول : دعَتْني أمـــي عمــرةُ بنــتُ رواحـــةَ ، فأعطَتْني حفنةً من تمرٍ في ثوبي ثم قالت : أيْ بنيــــةُ ، اذهبي إلى أبيكِ وخالكِ عبدِ الله بنِ رواحةَ بغدائهما .

قالَتْ : فأخذتُها و انطلقتُ بها ، فمرَرْتُ برســولِ الله صلى الله عليه و سلم و أنا ألتمسُ أبـــي و خـــالي ، فقال : تعالَي يا بُنَيةُ ما هذا معك ...؟

قالت : قلتُ يا رسولَ الله ، هذا تمرٌ بعثَتْني بــــه أمي إلى أبي بشيرِ بنِ سعدٍ ، و خالي عبدِ الله بنِ رواحةَ يتغدّيانِهِ .

فقال : هاتيهِ .

قالت : فصببتُهُ في كفَي رســـولِ الله صلـــى الله عليه و سلم فما ملأَتْهما ، ثم أمر بثوبٍ فبُسِطَ له ، ثـــم

دحا بالتمرِ عليه فتبدَّدَ فوقَ الثوبِ ، ثم قال لإنسانٍ عنده: اصرخْ في أهلِ الخندقِ أن هلمَّ إلى الغداءِ ، فاجتمع أهلُ الخندقِ عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، و جعل يزيدُ حتى صدَرَ أهلُ الخندقِ عنه و إنه ليسقطُ من أطرافِ الثوب .

و كان عددُ المسلمين الذين اجتمعوا على التمرِ يومئذٍ ثلاثةَ آلافِ رجلٍ .

٣-(وليمةُ جابرِ بنِ عبدِ الله)

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : لما حفر الخندق رأيت من النبي صلى الله عليه و سلم خمصا ، فانكفأت[١] إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه و سلم خمصاً شديداً .

فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ، و لنا بُهيمة داجن[٢] فذبحتها ، و قطعتها في برمتها[٣] ثم

---

(١) انكفأت : رجعت . (٢) بهيمة داجن : تصغير بهيمة ، و هي ما ألفت البيت من الشاه و غيرها . (٣) البرمة : القدر

ولّيتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه و سلم ، فقالَتْ : لا تفضحْني برسولِ الله صلى الله عليه و سلم و بمن معه .

فجئتُهُ فسارَرْتُهُ فقلتُ : يا رسولَ الله ، ذبحتُ بُهَيمةً لنا ، و طحنتُ صاعاً من شعيرٍ كان عندنا فتعالَ أنتَ و نفرٌ معك .

فصاح رسولُ الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا أهَل الخندقِ ، إن جابراً قد صَنَعَ سُؤراً فحيَّهلًا بكم ، ثم قال النبيَّ صلى الله عليه و سلم : لا تُنزلُنَّ بُرْمَتَكم ، ولا و لا تخبُزنَّ عجيُنكم حتى أجيءَ .

فجئتُ ، و جاء رسولَ الله صلى الله عليه و سلم يتقدمَ الناسَ ، حتى جئتُ امرأتي

فقالَتْ : بكَ ، و بك .

فقلتُ : قد فعلتُ الذي قلتِ ، فأخرجَتْ لنا عجيناً فبسق فيه و بارك ، ثم عَمدَ إلى برمتِنا فبسق و بارك،ثم قال :

ادعُ خبازةً فلْتخبِزْ معك ، و اقدحي مـــن برمتــك و لا تُنزِلوها .

يقولُ جابرٌ رضي الله عنه : و هم يومئذٍ ألـــفٌ ، فأُقسِمُ باللهِ لأَكلوا حتى تركوه و انحرفوا ، و إن بُرْمتَنـــا لتغِطُّ كما هي ، و إن عجينَنا كما هو .

و ما يروى من أن جابراً رضي الله عنه لما رأى أهلَ الخندق جميعاً قد قَدِموا إلى بيتِهِ خشيَ أن لا يكفيَــهمُ الطعامُ فذبح غلامين له ليطعمَ الناسَ ، فإن هـــذا غـــيرُ صحيحٍ و غيرُ معقولٍ ، و هو الذي يعلمُ بمعجزاتِ النبيِّ صلى الله عليه و سلم ، و أن بركتَهُ تحِلُّ أينمـــا نـــزل ، كما أن المسلمين جميعاً يعلمون ذلك بل و يعتقدون بـــه اعتقاداً جازماً لا يخالطُهُ شكٌّ .

٤- (إحساسُ حذيفةَ بنِ اليمان بالدفءِ)

قال رجلٌ من أهل الكوفة لحذيفـــةَ بـــن اليمـــان رضي الله عنه أيا أبا عبدِ الله ، أرأيتمْ رسولَ الله صلـــى الله عليه وسلم وصحبتموه ٠٠٠؟

قال : نعـــم يـــا ابـــنَ أخـــي ، قـــال : فكيـــف كنتـــم تصنعون٠٠٠؟

قال : والله لقد كنا نجتهدُ .

قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشـــي علـــى الأرض ولحملناه على أعناقِنا .

فقال حذيفةُ : يا ابنَ أخي ، لقد رأيتُنا مـــع رســـولِ الله صلى الله عليه و سلم بالخندقِ ، و صلـــى رســـولُ الله هويّاً من الليل ، ثم التفتَ إلينا فقال : مَنْ رجـــلٌ يقـــومُ فينظرَ ما فعل القومُ ، ثم يرجعُ أسألُ اللهَ أن يكونَ رفيقي في الجنة ٠٠٠؟

فما قام رجلٌ من شدةِ الخوفِ ، و شــدةِ الجــوعِ والبرد ، فلما لم يقمْ أحدٌ دعاني ، فلم يكُنْ لي بــدٌ مــن القيامِ حين دعاني .

فقال : يا حذيفةُ ، اذهب فادخلْ في القومِ فــانظُرْ ماذا يفعلون و لا تحدِثَنَّ شيئاً حتى تأتَينا .

قال حذيفةُ : فدخلتُ في القومِ و الريحَ و جنــودُ الله تفعلُ بهم ما تفعلُ ، لا تقرُّ لهم قدراً و لا نــاراً و لا بناءً ۰۰۰ الحديث ۰۰ و سيأتي تفصيلُهُ في موضعِــهِ إن شاء الله تعالى ، و تابع حذيفةُ حديثهُ قــائلاً : فرجعــتُ كأنما أمشي في حمّامٍ ، فأتيتَ رسولَ الله صلى الله عليــه و سلم فأصابني البردُ حين رجعتَ .

و يقولَ حذيفةُ : ما أتَتْ علينا ليلةٌ قطُّ أشدَّ ظلمــةً، و لا أشدَّ ريحاً منها ، فــي أصــواتِ ريحــهِا أمثــالَ الصواعِقِ ، و هي ظلمةٌ ما يرى أحدُنا أصبُعَهُ

في هذه الليلةِ الباردةِ لم يشعر حذيفةُ بالبردِ وكأنه كما قال : كأنما أمشي في حمامٍ .

(وصولُ الأحزاب)

و أقبل الأحزاب بحّدِهم و حديدِهم و عددُهم عشرةُ آلاف مقاتلٍ ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثةِ آلافٍ من المسلمين ، و الخندقُ بينهم وبين الأحزاب فأمر بالذراري و النساءِ فجعلوا فوقَ الآطام ، و استعمل على المدينةِ عبدَ الله بنَ أمّ مكتوم .

أما بنو قريظةَ و كانوا من سكانِ المدينةِ ، فقد أغلقَوا حصونَهم ، و لم يشتركوا مع الأحزابِ ، و كان زعيمهم كعبُ بنُ أسدٍ القُرظَي بينَهُ و بينَ النبي صلى الله عليه و سلم عقدٌ و عهدٌ أن لا يكونَ بينهما قتالٌ .

فجاءه حُيَيٌ بنُ أخطبَ ، فلما علم كعبُ بنُ أسدٍ بمجيئِهِ دخل حِصنَهُ و أغلق دونَهُ البابَ ، و أبى أن يفتحَ له ، فقال له حُيَيٌّ بنُ أخطبَ : افتح لي يا أخي ، فقال له كعبٌ : لا أفتحُ لك ، فإنكَ رجلٌ مشؤومٌ تدعوني إلى خلافِ محمدِ و أنا قد عاهدتُهُ و عاقدتُهُ و لم أَرَ منه إلّا وفاءً و صدقاً ، فلستُ بناقضٍ ما بيني و بينَهُ .

فقال حُيَيٌّ : افتحْ لي حتى أكلمَك و أنصرفَ عنك.

فقال : لا أفعلُ .

فقال حُيَيٌّ : إنما تخافُ أن آكلَ معك طعامَكَ ...!!

فغضب كعبٌ و فتح له ، فقال حُيَيٌّ : يا كعبُ ، إنما جئتُك بعزِّ الدهرِ ، جئتُك بقريشٍ و سادتِها ، وغطفانَ وقادتِها ، قد تعاقدوا على أن يستأصلوا محمداً و مَن معه.

فقال له كعبٌ : جئتَني واللهِ بذلِ الدهرِ و بجهامٍ[1] لا غيثَ فيه ، و يحَكَ يا حُيَيُّ دعني فلستُ بفاعلٍ ما تدعوني إليه .

فلم يزلْ حُيَيٌّ بكعبٍ يعِدهُ و يمنّيهِ حتى اتفقَ معه على قتالِ النبيِّ صلى الله عليه و سلم ، و نقضِ عهدِهِ (كمثلِ الشيطانِ إذ قال للإنسانِ اكفُرْ فلمّا كفر قال إني بريءٌ منكَ إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين . فكان عاقبتَهما أنهما في النارِ خالدينِ فيها ذلك جزاءَ الظالمين)[2]

---

(١)جهام : سحاب لا غيث فيه . (٢) الآيتان ١٦-١٧ من سورة الحشر .

(صلحَ النبي صلى الله عليه و سلم)
(مع غطفان)

انتهى الخبرُ إلى النبي صلى الله عليه و سلم بـأنَّ كعْبَ بنَ أسدٍ قد واطَأَ حُيَيَّ بنَ أخطبَ ، و اتفـق معـه على نقضِ عهدِهِ مع النبي صلى الله عليه و سلم ، فبعث سعدَ بنَ معاذ ، و سعدَ بنَ عبـادةَ ، و عبـدَ الله بـنَ رواحةَ، وخَوَّاتَ بنَ جُبيرٍ و قال لهمُ : انطلقوا إلى بنـي قريظة فإن كان ما قيل لنا حقاً فالحنوا لنا لحنـاً[٣] ، و لا تفتّوا في أعضادِ الناسِ ، و إن كان كذباً فاجـهروا بـه للناس .

فانطلقوا إليهم فوجدوهم على أخبثِ ما قيل عنـهم وعلموا بأنهم قد نقضوا عهودَهم ، و خانوا أماناتِـهِم ، ونالوا من رسولِ الله صلى الله عليه و سلم و قـالوا: لا عهدَ له عندنا ، فشاتمهم سعدُ بنُ معاذ وشاتموه ، وكانت

(٣) أي الغزوا لنا لغزا و لا تنشروه بين الناس

فيه حِدةٌ و غيرةٌ على المسلمين ، ونقمةٌ على اليهودِ .

فقال له سعدُ بنُ عبادةَ : دَعْ عنك مشاتَمتهم فالذي بيننا وبينهم أكثرُ من ذلك ، ثم رجعوا فـأخبروا النبيَّ صلى الله عليه و سلم بما فعل اليهودُ .

ثم أقام النبيُّ صلى الله عليه و سلم مرابطاً مكانَهُ، وأقام الأحزابُ من الجهةِ الأخرى للخندقِ يحـاصِرون المدينةَ بضعاً و عشرين ليلةً ، لم يكنْ بينهم إلّا التراشـقُ بالنبلِ و الرميُ بالحصى .

و قدِ اشتدَّ بالمسلمين الخوفُ ، و عَظُـمَ عليـهمُ البلاءُ ، فلما رأى النبيُّ صلى الله عليه و سلم ما نَـزلَ بهم أشفقَ عليهم ، فبعث إلـى عُيَينَـةَ بـنِ حصـنٍ ، والحارثِ بنِ عوفٍ قائدَي غطفانَ فأعطاهما ثلثَ ثمـارِ المدينةِ لينصرفا بجيشِهِما ، و يخذلا قريشاً ، فقبلا منـه ذلك .

فجمع النبيِّ صلى الله عليـــه و ســلم أصحابَــهُ فاستشارَهم كعادتهِ ، فقام سعدُ بنُ معاذ و سعدُ بنُ عبــادةَ فقالا :

يا رسول الله ، هذا أمرٌ تحبهُ فنصنعهُ لــك ٠٠٠؟ أو شيءٌ أمَرَكَ اللهُ به فنسمعَ له و نطيعَ ، أو أمرٌ تصنَعُه لنا ٠٠٠؟

قال : بل أمرٌ أ صنَعهُ لكم ، و اللهِ ما أصنعُهُ آلا أني قــد رأيتُ العربَ قد رَمَتكم عن قوسٍ واحدةٍ .

فقال سعدَ بنَ معاذ : يا رسولَ الله ، و اللهِ لقد كنا نحـــن وهؤلاءِ القومَ على الشركِ باللهِ و عبادةِ الأوثـــان ، و لا نعبدُ اللهَ و لا نعرفُهُ ، و ما طمعوا قطٌ أن ينـــالوا مِنّــا ثمرةً إلا شراءً أو قِرى ، فحين أكَرَمَنــا اللهَ بالإســلام ، وهدانا له ، و أعَزَّنا بك نعطيهم أموالَنــا ٠٠٠!! و اللهِ لا نعطيهم إلا السيفَ حتى يحكمَ اللهُ بيننا و بينهم ، و أخـــذ الصحيفة فمحاها .

فسَرَّ النبيِّ صلى الله عليه و سلم بذلك و دعا لـــه بخيرٍ .



(المبارزةُ)

أقام النبيُّ صلى الله عليـــه و سـلم و أصحابُــهُ محاصَرين ، ولم يكن بينهم و بين العـــدوِ قتـــالٌ إلا أنَّ بعضَ فرسانِ المشركين : منهم عمـــروُ بـــنُ عبــدِ ودٍ العامريَّ الفارسُ العربيُّ الشهيرُ ، و عِكْرِمةُ بـــنُ أبـــي جهل ، و هبيرةُ بنُ أبي وَهْبٍ ، و ضرارُ بنُ الخطـــاب بن مِرداس الذين امتطوا خيولهم بعد أن لبسوا دروعَــهم، و حملوا سيوفَهم ورماحَهم و انطلقوا للقتـــالِ ، فمــرّوا بمنازلِ بني كنانةَ ، فقالوا : تهيَّؤوا يا بني كِنانةَ للحــربِ فستعلمون مَنِ الفرسانُ اليومَ .

ثم أقبلوا تعنَقُ بهم خيلُهُمْ حتى وقفوا على الخنـدق فلما رأوه فوجئوا و قالوا :

و اللهِ إنَّ هذه لمكيدةٌ ما كانتِ العربُ تكيدُها ، ثــم تيمّموا مكانا من الخندقِ ضيقاً ، فضربوا خيلَهم حتى

استطاعوا أن يجتـــازوا الخنــدق ، و يصبحــوا أمـــام المسلمين .

فبرز عمروُ بنُ عبدِ ودٍ ، فاحتل ميدانَ المعركـــةِ و جعل يصولُ و يجولُ أمام المســـلمين يريـــهم بأسَـــهُ وشجاعَتهُ ، وكان عمروُ بنُ عبدِ ودٍ قد قاتل يـــوم بـــدرٍ حتى أثبَتَتْهُ الجراحُ فلم يستطِعْ أن يقاتَل يومَ أُحُدٍ ، فلمـــا كان يومُ الخندقِ خرج بحقدِهِ و غيظِـــهِ علـــى أمـــلِ أن يعّوِضَ ما فاتَهُ يومَ أحد ، و أن يعيدَ كرامَتهُ ، و يســـتردَّ اعتبارَهُ وينتقمَ لنفسهِ لما أصابه يومَ بدرٍ .

و ها هو ذا الآن يبُرزُ يومَ الخنـــدق علـــى رأس فرسانِ المشركين يصولُ و يجولُ و يطلُبُ المبارزةَ .

فقام له عليٌّ بنُ أبي طالبِ رضي اللهُ عنه فقال: أنا لـــه يا رسولَ الله .

فقال النبيٌّ صلى الله عليه و سلم : إنه عمروٌ اجلِسْ .

ثم نادى عمروُ ألا رجلٌ يبرُزُ ...؟ و جعل يسخرُ مــن المسلمين و يقولُ : أين جنتكم التي تزعمون أنه مَنْ قُتــل منكم دخلها ، أفلا تبرزون إليَّ رجلاً ...؟

فقام عليٌّ فقال : أنا يا رسولَ الله .

فقال : اجلِسْ .

ثم نادى مرةً ثالثةً فقال :

و لقد بُحْحِتُ مــن النداءِ	لجمعِهِم هل مِــنْ مبارِزْ
و وقفتُ إذ جَبُنَ المشجعُ	مــوقفَ القــرنِ المناجزْ
و لــذاك إنـــي لم أزلْ	مســَرعاً قــبل الهزاهزْ
إنَّ الشــجاعةَ في الفتى	و الجودُ من خيرِ الغرائزْ

فقام إليه عليٌّ رضي الله عنه فقال : يا رسولَ الله أنا لَهُ .

فقال : إنه عمروٌ .

قال : و إن كان عمراً .

فأذِنَ له رسولَ الله صلى الله عليه و سلم ، فانطلق علـيٌّ نحوه بخطى قويةٍ و ثابتةٍ و هو يقولَ :

لا تَعجلـنَّ فقـد أتـاك ... مجَيبَ صوتِكَ غيرَ عاجزْ
فـي نيـةٍ و بصـيرةٍ ... و الصدقُ مُنجي كل ِفائزْ
إنـي لأرجو أن أقـيمَ ... علـيك نـائحةَ الجـنائزْ
مِـنْ ضـربةٍ نـجلاءَ ... يبقى ذكرُها عند الهزاهزْ

ثم تقدم منه و قال له : يا عمرو ، إنك كنتَ عـاهدْتَ اللهَ ألاّ يدعوَك رجلٌ من قريشٍ إلى إحدى خَلتيَن إلاّ أخذتَـها منه .

قال : أجل .

فقال له عليٌّ : فإني أدعوك إلى اللهِ و رسـولِهِ و إلـى الإسلام .

فقال له عمرو : مَنْ أنتَ ...؟

قال : أنا عليٌّ .

قال : ابنُ عبدِ مناف ٠٠٠؟

قال : أنا عليُّ بنُ أبي طالب .

فقال عمروٌ : يا ابنَ أخي من أعمامِكَ مَنْ هو أسنُّ منك، فإني أكرهُ أن أهريقَ دَمَكَ .

فقال عليٌّ : لكني واللهِ لا أكرهُ أنَ أهرَيقَ دمَكَ .

و في روايةٍ أخرى : قال له عليٌّ : فإني أدعوك إلى اللهِ و رسولهِ و إلى الإسلامِ فأجابه عمروٌ قائلاً : لا حاجةَ لي بذلك .

فقال علي : فإني أدعوك إلى النزال .

فقال له عمروٌ : لِمَ يا ابنَ أخي ٠٠٠؟ فو اللهِ ما أحبُّ أن أقتلَكَ .

فقال عليٌّ : لكني واللهِ أحبُّ أن أقتلَكَ .

فغضبَ عمروٌ و اشتدَّ عليه هذا القولُ ، فنزلَ عن فرسِهِ فعقَرَهُ و ضرب وجَههُ ، ثم أقبل نحو عليٍ

فتنازلا ، وتقاتلا حتى ثارَ النقعُ بينهما فحال دونهما فلم يتمكنِ الناسُ أن يميزوا بينهما .

فما هي سوى لحظاتٍ حتى انجلى النقعُ ، وهدأتِ الأصواتُ ، و سكَنَتْ صلصلةُ السيوفِ ، و المسلمون يترقبون بتلهفٍ و حذرٍ مَنِ المتفوقُ ٠٠٠؟ نظروا فإذا عليٌّ جالسٌ على صدرِ عمروٍ يحزُّ رأسَهُ ، فهتفوا جميعاً بصوتٍ واحدٍ اللهُ أكبر ٠٠٠ الله أكبر و علَتْ أصواتُهم بهذا النشيدِ الرائعِ حتى عانقتِ السماءَ ثم نزل عليٌّ من فوقِ صدرِ عمروِ وسطِ إعجابِ و هتافِ الناسِ ، وجعل ينشدُ قائلاً :

نصر الحجارةَ من سفاهةِ رأيِهِ و نصرْتُ دينَ محمدٍ بصوابي(١)

نازلْتُهُ فتركتُهُ متجدلاً كالجذع بين دكادكٍ و روابي (٢)

لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينِهِ و نبيهِ يا معشرَ الأحزاب

---

(١)الحجارة : الأنصاب التي كان المشركون يذبحون عليها .

و قوله (و نصرتُ دينَ محمد) و يروى : رب محمد .

(٢) متجدلاً : لاصقاً بالأرض ، و الجذع : فرع النخلة ، دكادك : جمع دكداك و هو الرمل اللين ، و الروابي : جمع رابيةٍ ، و هي الكدية المرتفعة .

فلما رأى فرسانُ المشركين مقتلَ فارسِهِمُ الكبيـــرِ ألقوا سيوفَهم و رماحَهم و انطلقوا هـــاربين ، و للنجـــاةِ طالبين، فشاهد حسانَ بنُ ثابت ٍعكرمةَ بن أبـــي جـهلٍ يلقي رمحَهُ، و يشتدُّ هارباً ، فأنشد قائلاً :

فــرَّ و ألــقى لنا رمــحَهُ لعلَّكَ عِــكْرمَ لم تفعلِ (١)
وَوَلّيتَ تعدو كعدوِ الظليمِ ما إنْ تحورُ عنِ المعدلِ(٢)
و لم تُلقِ ظهركَ مستأنساً كــأنَّ قفاكَ قفا فُرْعُلِ (٣)

فلما قَتَلَ عليٌّ رضي اللهُ عنه عمراً أقبــل نحــو النبيِ صلى الله عليه و سلم وســـطَ هتافــاتِ التشــجيعِ والإعجابِ ، ووجهُهُ يتهلّلُ بالفرحِ و البشرِ .

---

(١)عكرم : منادى مرخم حذف منه الحرف الأخير .

(٢) الظليم : ذكر النعام ، و تحور : ترجع .

(٣) الفرعل : صغير الضباع . شبهه في عدوه و ســرعة جريــه بذكــر النعام، كما شبهه بالفرعل لشدة ما أصابه من الخوف حين رأى عمرو بــن عبد ود

فتلقاه عمرُ بنْ الخطابِ رضي الله عنـــــه مـــهنئاً وقال له : هلّا استلبْتَه درعَهُ فإنه ليس للعربِ درعٌ خـيرٌ منها ٠٠٠؟

فقال عليٌّ رضي الله عنه : ضربتُهُ فاتقـــاني بسـوءَتِهِ ، فاستحييتَ ابنَ عمي أن أسلبَهُ .

و قد رويَ أن المشركين بعثوا إلـــى رســولِ الله صلى الله عليه و سلم يشترون جثةَ عمروِ بنِ عبـــــدِ ودٍ بعشرةِ آلافٍ، فقال لهم : هو لكم لا نأكلُ ثمنَ الموتى .

و عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قـــال : قتـــل المسلمون يوم الخندقِ رجلاً من المشـــركين ، فـــأعطَوا بجيفتهِ مالاً ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه و ســـــلم : ادفعوا إليهم جيفتَهُ ، فإنه خبيثُ الجيفةِ ، خبيثُ الديـــــةِ ، فلم يقبلَ منهم شيئاً .

و في روايةٍ عنِ ابنِ عباسٍ :أن رسولَ الله صلى الله عليه و سلم قال : لا خيرَ في جسدِهِ و لا في ثمنِهِ .

و في روايةٍ أخرى ، قال : إنه خبيثٌ ، خبيثُ الديةِ ، فلعنه اللهُ و لعن دِيتهُ ، فلا أرَبَ لنا في ديتِهِ ، ولسنا نمنعُكُمْ أن تدفنوه .

و رويَ أن نوفلَ بنَ عبدِ الله بنِ المغيرةِ المخزوميَّ خرج إلى المسلمين فسأل المبارزةَ ، فبرزَ إليه الزبيرَ بنُ العوامِ رضي الله عنه ، فضربه فشقَّهُ نصفين حتى فلَّ في سيفِهِ و انصرف و هو يقولَ :

إني امرؤٌ أحمي و أحتمي عن النبيِّ المصطفى الأمي

و روى الطبري : أن نوفلاً هذا لما تورَّطَ في الخندقِ رماه الناسُ بالحجارةِ ، فجعل يقولُ : قِتلةٌ أحسنَ من هذه يا معشرَ العربِ ، فنزل إليه عليٌّ رضي الله عنه فقتله ، فطلب المشركون رُمَّتَهُ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالثمنِ فأبى عليهم أن يأخذَ منهم شيئاً ، ومكَّنهم من أخذِهِ إليهم .

و عن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ رضـي الله عنهما قـال :
جُعِلْتُ يومَ الخندقِ[1] مع النساءِ و الصبيان فـي الأطُـمِ ومعي عمرُ بنُ أبي سلمةَ فجعل يطأطئ لي فأصعدُ على ظهرِهِ فأنظرُ ، قال : فنظرتُ إلى أبي و هو يحملُ مـرةً ههنا و مرةً ههنا فما يرتفعُ له شيءٌ إلّا أتاه .

فلمّا أمسى جاءَنا إلى الأُطُمِ ، فقلتُ : يا أبـتِ ، رأيتُك اليومَ و ما تصنعُ .

قال : و رأيتَني يا بنيَّ ؟...

قلتُ : نعم .

قال : فدىً لك أبي و أمي .

---

(١) لأنه كان ابن خمس سنين أو ست ، فقد كان أول مولـود للمـهاجرين بالمدينة و كانت ولادته فور بلوغ أمه المدينة يوم الهجرة .

(دعاء النبي صلى الله عليه و سلم)
(على الأحزاب)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أبيـــه قال : قلنا يوم الأحزاب : يا رسول الله ، هل من شـــيء تقولُهُ فقد بلغتِ القلوبُ الحناجرَ .

قال : نعم ، (اللـــهم اســـتُرْ عوراتِنـــا ، و آمِـــنْ روعاتِنا.) فضرب اللهُ وجوهَ أعدائهِ بالريحِ .

و عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنـــهما : أن النبيَّ صلى الله عليه و سلم أتـــى مســـجدَ الأحـــزاب ، فوضعَ رداءَهُ و قام ، و رفع يديه مَدّاً يدعو عليهم ، ولـم يُصلِّ . قال : ثم جاء و دعا عليهم و صلّى .

و في الصحيحين : دعا رسولُ الله صلى الله عليه و سلم على الأحزاب ، فقال : اللهمَّ منزلَ الكتابِ ، سريعَ

الحسابِ ، اهزم الأحزابَ ، اللهمَّ اهزِمْهُم و زلْزِلْـــــهم ، اللهمّ اهزِمْهُم و انصُرْنا عليهم .

و عن أبي هريرةَ رضي الله عنه : أن رسولَ الله صلى الله عليه و سلم كان يقولُ : لا إلهَ إلّا اللهُ وحـــدَهُ ، أعزَّ جندَهُ ، و نَصَرَ عبدَهُ ، و غَلَبَ الأحزابَ وحــــدَه ، فلا شيءَ بعدَه .

و المشهورُ من دعائهِ صلى الله عليه و سـلم : لا إلهَ إلّا الله وحدَهُ ، صدق وعدَهُ ، و نصرَ عبدَهُ ، و أعـزَّ جندَه ، و هزَمَ الأحزابَ وحدَه ، لا شيءَ قبلَهُ و لا شيءَ بعدَهُ . لا إلهَ إلا اللهُ و لا نعبدُ إلّا إياه مخلصِين له الديـنَ و لو كَرِهَ الكافرون .

أما شعارُ المسلمين يومئذٍ فكان (حم ، لا يُنصرون)

(خطة نعَيمِ بنِ مسعود)

يقولُ اللهُ تبارك و تعالى : (و لقد سبقَتْ كلمتُنـــا لعبادنِا المرسَلين . إنهم لَهُمُ المنصورون . و إنَّ جندَنـــا لهمُ الغالبون)[1] (إنَّ اللهَ يدافعُ عنِ الذين آمنـــوا إنَّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ خوّانٍ كفورٍ)[2]

فإذا أراد اللهُ عز و جلَّ شيئاً هيّأَ أســبابَهُ ، و إذا قضى أمراً فعلَهُ ، و إذا أراد النصرَ لعبادهِ حقَّقَهُ ، و هو القائلُ: (إنّما قولُنا لشيءٍ إذا أردناه أنْ نقولَ لــــه كُــنْ فيكون)[3]

أقام رسولُ الله صلى الله عليه و سلم و أصحابُــهُ فيما وَصَفَ اللهُ من الخوفِ و الشدةِ لتظـــاهرِ عدوهِــم عليهم ، و إتيانِهِم إيّاهم من فوقِهِم و من أســفلَ منـــهم ، ففي هذه الظروفِ القاسيةِ ، و اللحظاتِ الحرجـــةِ قَــدِمَ نُعَيمُ بنُ مسعودِ إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم فقال :

---

(١) الصافات : ١٧١-١٧٣ (٢) الحج : ٣٨ (٣) النحل : ٤٠

يا رسولَ الله ، إني قد أسلمتُ و إنّ قومي لم يعلموا بإسلامي فمُرني بما شئتَ .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه و سلم :

إنما أنتَ فينا رجلٌ واحدٌ فخذِلْ عنا إنِ استطعتَ فإن الحربَ خُدعةٌ .

فخرج نُعيمُ بنُ مسعودٍ حتى أتى بني قُرَيظةَ ، وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال :

يا بني قُرَيظةَ ، قد عرفتم ودّي إيّاكم و خاصَّةَ ما بيني و بينكم .

قالوا : صدقتَ لستَ عندنا بمتَّهمٍ .

فقال لهم : إن قريشاً و غطفانَ ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدُكم فيه أموالكُم و أبناؤكم و نساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيرِهِ .و إن قريشاً و غطفانَ قد جاؤوا لحربِ محمدٍ وأصحابِهِ و قد ظاهرتموهم عليه ، و بلدُهم

ونساؤهم أموالَهُم بغيرهِ ، فإن رأوا نهزةً أصابوها ، وإن كان غيرَ ذلك لحقوا ببلادهم و خَلَّوا بينكم و بين الرجلِ ببلدكِم ، و لا طاقةَ لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القومِ حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافِهِم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .

قالوا : لقد أشرتَ بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيانَ و مَنْ معه من رجالِ قريشٍ : قد عرفتم ودِّي لكم و فراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيتُ عليَّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عليَّ .

قالوا : نفعلَ .

قال : تعلمون أن معشرَ يهودَ قد ندِموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمدٍ ، و قد أرسلوا إليه أنَّا قد نَدِمْنا على ما فعلنا فهل يُرضيك أن نأخذَ لك من قريشٍ وغطفانَ رجالاً من أشرافِهِم و نعطيكَهُم فتضربَ أعناقَهم

ثم نكونُ معك على مَنْ بقيَ منـــهم حتـــى نســـتأصلَهم ؟ فأرسلَ إليهم محمدٌ : أن نعم ، فإن بَعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكِم فلا تدفعوا إليـــهم منكـــم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفانَ فقـــال : يـــا معشَـــر غطفانَ ، إنكم أهلي و عشيرتي و أحبُّ الناسِ إليَّ ، ولا أراكم تتهمونني .

قالوا : صدقتَ ما أنتَ عندنا بمتهمٍ .

قال : فاكتموا عني .

قالوا : نفعلُ

فقال لهم مثل ما قال لقريشٍ ، و حذَّرَهـــم كمـــا حـــذّرَ قريشاً.

فأرسل أبو سفيانَ و زعماءُ غطفانَ إلـــى بنـــي قُرَيظة عِكرِمَةَ بنَ أبي جهل في نفرٍ من قريشٍ و غطفانَ

فقال لهم: إنا لسنا بدارِ مقامٍ ، و لقد هلك الخفُّ و الحافرُ فأعِدّوا للقتالِ حتى نناجزَ محمداً .

فردَّ عليه زعماءُ بني قريظةَ قائلين : إنَّ اليــــومَ يومُ السبتِ و هو يومُ لا نعملُ فيه شــيئاً ، و قــد كــان أحدث فيه بعضنا حَدَثاً فأصابهم ما لم يخفَ عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً مــن رجالكمِ يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجِزَ محمداً ، فــإنا نخشى إن ضَرَسَتْكُمُ الحربُ ، و اشتدَّ عليكمُ القتــالُ ، أن تتشمروا إلى بلادِكم ، و تتركونا و الرجلَ في بلادِنـــا ، ولا طاقةَ لنا بذلك منه .

فرجع عكرمَةُ و مَنْ معه ليخبروا قريشاً وغطفانَ بما قالَتْ بنو قريظةَ فقالوا : و اللهِ إن الذي حدَّثكم نُعيــمُ ابنُ مسعودٍ لحقٌ .

فأرسلوا إلى بني قريظةَ ، إنا و اللهِ لا ندفعُ إليكــم رجلاً واحداً من رجالنِا ، فــإن كنتــم تريــدون القتــالَ فاخرجوا فقاتلوا .

فقال زعماءُ بني قريظةَ إنّ الذي ذكر لكـــم نعيـمُ بــنُ مسعودٍ لحقٌ .

ثم أرسلوا إلى قريشٍ و غطفانَ إنا و اللهِ لا نقاتلُ معكـم حتى تعطونا رُهُناً . و هكذا خذّلَ اللهُ بينهم ،

فاختلَفَتْ كلمتُهم ، و تفرق جمعُهم ، و جعل اللهُ كيدَهـم في نحورِهِم ، وردَّ سهامَهم إلى صدورِهِـــم ، و بعــث عليهم ريحاً عاتيةَ في ليالٍ باردةٍ ، قلبَتْ آنيتهم ، وأكفأَتْ قدورَهم ، و قلَعتْ خيامَهم ، و ملأَتْ بالرمالِ عيونَـهم ، و ألقتِ الرعبَ في قلوبهِم ، و أفقدتهم صوابَهم و جعلتهم حيارى من أمرِهم حتى إنّ أحدَهم إذا اصطدم بآخرَ لـم يعرفْهُ لشدةِ ما أصابهم مــن الخوفِ و الذعرِ والوجـل ، (و كفى اللهُ المؤمنين القتالَ و كان اللهُ قوّياً عزيزاً .)

(خبر الأحزاب)

أراد النبيُّ صلى الله عليه و سلم أن يأخذَ خبراً عنِ الأحزابِ و ماذا حلَّ بهم فقال : (ألا رجلٌ يأتيني بخبرِ القومِ جعله اللهُ معي يوم القيامةِ .) فسكتوا جميعاً ولم يجبْهُ أحدٌ .

ثم قال مرةً أخرى : (ألا رجلٌ يأتيني بخبرِ القومِ جعله اللهُ معي يومَ القيامة .) فسكتوا جميعاً و لم يجبْهُ أحدٌ .

ثم أعاد مقالتَهُ مرةً ثالثةً فلما لم يجبْهُ أحدٌ قال : قُمْ ياحذيفةَ فأتنا بخبرِ القومِ و لا تحدِثْ شيئاً .

يقولُ حذيفةُ رضي الله عنه : فلم أجدْ بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقومَ . فمضى حذيفةُ بنُ اليمانِ مستتراً

يمشي في خفيةٍ ، الريحُ شديدةٌ ، و الليلةُ باردةٌ ، والظلامُ دامسٌ .

يقولُ حذيفةُ : فقمتُ و أنا من أشدِّ الناس فزعاً وأشدِّهم قَرًّا[١] فدعا له النبيُّ صلى الله عليه و سلم قائلاً: اللهم احفظْهُ مِن بينَ يديه و مِنْ خلفِهِ ، و عن يمينِهِ وعن شمالِهِ ، و من فوقه ، و من تحتِهِ .

يقولُ حذيفةُ : فو اللهِ ما خلَقَ اللهُ فَزَعاً و لا قَرًّا في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجدُ فيه شيئاً .

فلما وليتُ قال : يا حذيفةُ لا تحدِثَنَّ في القومِ شيئاً حتى تأتيني .

قال : فخرجتُ حتى إذا دنوتُ من عسكرِ القومِ نظرتُ ضوءَ نارٍ لهم توقَدُ ، و إذا رجلٌ أدهمُ ضخمٌ يقولُ بيديه على النار ، و يمسحُ خاصرتَهُ و يقولُ : الرحيلَ ... الرحيلَ ، و لم أكنْ أعرفُ أبا سفيان قبل

---

(١) القر : البرد .

ذلك فانتزعتُ سهماً من كنانتي ووضعتُهُ في كبدِ قوسي لأرمِيَهُ بـــه في ضـــوءِ النارِ ، فذكرتُ قولَ رسولِ اللهِ صلى الله عليـــه و ســـلم لا تُحدثنَّ في القومِ شيئاً حتى تأتِيَني ، ولو رميتُهُ لأصبته ، فأمسكتُ و رددتُ ســـهمي إلى كنانتي و شجّعتُ نفسي حتى دخلتُ العســـكرَ فـــإذا أدنى الناسِ مني بنو عـــامر يقولـــون : يـــا آلَ عـــامرٍ الرحيلَ، الرحيلَ لا مُقامَ لكُمْ .

و إذا الريحَ في عسكرِهِم ما تجاوز عسكرَهم شبراً .

فو اللهِ إني لأســـمعُ صـــوتَ الحجـــارةِ فـــي رحالِـــهِم وفروشِهِم، الريحُ تضربُ بها . فسمعتُ أبا سفيان يقـولُ: يا معشرَ قريشٍ ليتعَّرفْ كلّ امرئٍ جليسَهُ فـــأخذتُ بيـــد جِليسي وقلتُ من أنتَ ؟

فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ . ثم قـــال أبـــو ســـفيانَ ويلكم يا معشَر قريشٍ إنكم و اللهِ ما أصبحتم بدارِ مُقامٍ،

ولقد هَلَكَ الكراعُ و الخفُّ[1]، و أخلفتْنا بنو قُريظةَ ، ولقينا من هذه الريحِ ما ترون ما يستمسكُ لنا بناءٌ ، و لا تَثبُتُ لنا قدرٌ، و لا تقومُ لنا نارٌ فارتحلوا فإني مرتحلٌ ، و وثب على جملِهِ ، و انطلق يعدو نحوَ مكةَ ، و هو قائدُ القومِ ، فإذا فرَّ القائدُ فلا بقاءَ إذن للجنودِ ما عليهم إلّا أن يهربوا ويلحقوا به .

هذا هو نصرُ اللهِ للمؤمنين إذا أرادَ أنْ ينصرَهُم هَيَّأَ لهمِ أسبابَ النصرِ . حيثُ أمدَّهَم بكثيرٍ من الأسلحةِ الربانيةِ التي تقوي عزائمَهم ، و تشحذُ همَمَهمْ ، و توقِعُ الخوفَ و الذعرَ في قلوبِ أعدائِهمِ و تجعلُهَم يفرون لا يلوون على شيءٍ ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً ...

---

(١)الكراع : الخيل . الخف : الإبل .

(أسلحةٌ ربانية أمدَّ اللهُ بها المؤمنين)

١ – الملائكةُ :

لقد أمدَّ اللهَ تعالى المؤمنين بالملائكةِ في كثيرٍ من المعاركِ يكثرون عَدَدَهُمْ و يَمدونهم بأسبابِ النصرِ ويجعلونهم يتفوقون على عدوهِم .

قال تعالى : " إذ تستغيثون ربكُمْ فاستجابَ لكم أني مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكةِ مُردِفين "[1] و قال أيضاً : " إذ تقولَ للمؤمنين ألنْ يكفيكمْ أن يُمِدَّكم ربُكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ منزَلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكمْ مِن فورِهِم هذا يُمدِدْكُم ربكمَ بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مَسَوِّمين "[2]

---

(١) الأنفال : ٩ . (٢) آل عمران : ١٢٤ و ١٢٥

٢ - الرعبُ :

لقد أمدَّ اللهُ تعالى المؤمنين بسلاحِ الرعبِ و هو أفتكُ الأسلحةِ و أشدُّها تأثيراً في تحقيقِ النصرِ و رفعِ معنوياتِ المجاهدين و خفضِ معنوياتِ المعتدين .

قال تعالى : " سنلقي في قلوبِ الذين كفروا الرعبَ بما أشركوا باللهِ ما لم يُنزِلْ به سلطاناً و مأواهُمُ النارُ و بئس مثوى الظالمين " .[١]

- و قال أيضاً : " إذ يوحي ربُّكَ إلى الملائكةِ أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوبِ الذين كفروا الرعبَ فاضربوا فوقَ الأعناقِ و اضربوا منهم كلَّ بنانٍ " [٢]

- و قال أيضاً : " و قذف في قلوبِهِمُ الرعبَ فريقاً تقتلون و تأسِرون فريقاً " . [٣]

---

(١) الآية ١٥١ من سورة آل عمران (٢) الآية ١٢ من سورة الأنفال (٣) الآية ٢٦ من سورة الأحزاب

- و قال النبي صلى الله عليه و سلم : " أعطِيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياءِ قبلي ، نُصِرْتَ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ . و جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجداً وطهوراً فأيَّما رجلٍ من أمتي أدركتْهُ الصلاةُ فلْيصلِ. و أحِلَّتْ لِيَ الغنائمُ ، و لم تحلَّ لأحدٍ قبلي . وأَعطِيتُ الشفاعةَ .

و كان النبيُّ يَبعَثُ إلى قومِهِ خاصةٌ ، و بُعثتَ إلى الناسِ عامةٌ "(١)

فكان النبيُّ صلى الله عليه و سلم إذا تجهزَ لغزوِ قومٍ و علموا بمقدمِهِ فروا منه بسببِ ما يقذفُهُ اللهُ تعالى في قلوبِهِم من الرعبِ .

٣-النعاسُ

و النعاسُ أيضاً من الأسلحةِ التي أمدَّ اللهُ بها

---

(١) رواه الشيخان

المؤمنين يرفعَ به معنوياتِهِم إذا نزل بهم ما يخيفُهم .

قال الله تعالى :(إذ يغشيكُمُ النعاسَ أمنةً منه)[١]

و قال أيضاً : (ثم أنزل عليكم من بعدِ الغَم أمنةً نَعاساً يغشى طائفةً منكم و طائفةٌ قد أهمتهُم أنفسهُم يظنون باللهِ غيرَ الحقِ ظنَّ الجاهلية)[٢] عن الزبيرِ بنِ العوام رضي الله عنه قال : لقد رأيتُني مع رسولِ الله صلى الله عليه و سلم يومَ أحدٍ حين اشتدَّ علينا الخوفُ ، و أرسِلَ علينا النوم فما مِنّا من أحدٍ إلا ذقنهُ في صدرِهِ .

و عن أبي طلحةَ رضي الله عنه قال : كنتُ فيمن تغشّاهُ النُعاسُ يومَ أحدٍ حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقطُ و آخُذهُ ، و يسقطُ و آخذهُ .

---

(١) الأنفال : ١١ (٢) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران

٤-الريحُ :

و للريحِ أيضاً في نصرةِ المؤمنيـــن دورٌ كبـيرٌ وفعالٌ فهي من جنودِ اللهِ (و ما يعلـــمُ جنـــودَ ربـِـكَ إلّا هو)[١] . فلقد لِعَبَتْ يومَ الأحزابِ دوراً كبيراً و هاماً كان السببَ في نصرِ المسلمين و هزيمةِ الكافرين :

- قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكـــروا نعمــةَ اللهِ عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلْنا عليهم ريحاً و جنـــوداً لم تروها و كان اللهَ بما تعملون بصيراً "[٢] .

- و قال عنها النبيِّ صلى الله عليه و سلم : " نُصِــرْتُ بالصَّبا و أُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ " . . .

و قال حذيفةٌ بنُ اليمانِ رضي الله عنه : " لقد رأيتَنا ليلةَ الأحزابِ و نحن صافّون قعوداً . و أبو سفيانَ ومَنْ معـه فوقَنا و قريظةُ أسفلَ مِنّا نخافهَم على ذرارينا .

---

(١) المدثر : ٣١ . (٢) الأحزاب : ٩

- و ما أتَتْ علينا ليلةٌ قطَ أشدَّ ظلمةً من هــذه الليلـــةِ ، و لا أشدَّ ريحاً ، في أصواتِ ريحِها أمثالَ الصواعِقِ و هي مظلمةٌ لا يَرى أحدنا أصْبَعَهُ " .

٥-المطر :

إنّ المسلم يحتاج لكميةٍ كبيرةٍ من المـــاءِ . فــهو فوق حاجتِهِ إلى الماءِ في طعامِهِ و شرابِهِ و سَقي دوابــهِ ... فإنه يحتاجُهُ لطهارتِهِ و هي متعـــددةُ الجوانـــبِ، والشيطانُ خبيثٌ ماكِرٌ يتربصُ بالمســلمِ ليوســوسَ لـــه وهكذا فَعَلَ يومَ بدرٍ . حيثُ ألقى في قلـــوبِ المســلمين الشكَ يوسوسُ لهم قائلاً :

" تزعمون أنكم أولياءَ اللهِ و فيكم رسولُهُ و أنتم تصلّـــون جُنُباً " !!...

فأنزل اللهُ عليهم مطراً شديداً . فشربوا و تطهّروا و أذهَبَ اللهُ عنهم رجسَ الشيطانِ ، و ثبَّتَ الأرضَ حين أصابها المطرُ ، و مشى الناسُ و الدوابُّ و هكذا تعددَتْ جوانبُ النفعِ بالمطرِ ، من شُـــربٍ و طـــهارةٍ و طـــردٍ لوساوسِ الشـــيطانِ ، و تثبيـــتِ الأرضِ تحـــتَ أقـــدامِ المسلمين . و فسادِها تحت أقدامِ المشركين .

- قال تعالى : " إذ يغشّيكمُ النعاسَ أمنةً منـــه و يـــنزلُ عليكم من السماءِ ماءً ليطهَركم به و يُذهِـــبَ عنكـــم رجز الشيطانِ و ليربطَ على قلوبِكـــمِ و يثبـــتَ بـــه الأقدامَ " . .(١)

٦-الترابُ :

و من الأسلحةِ التي أمدَّ اللهُ بها رسولَهُ صلـــى الله عليه وسلم الترابُ و ذلك يومَ بدرٍ قُبَيلَ المعركةِ حيـــثُ رفع النبيُّ صلى الله عليه و سلم يديه و اتجـــه إلـــى الله بقلبِهِ ، و ابتهل إليه بلسانِهِ قائلاً :

---

(١)الآية ١١ من سورة الأنفال .

" يا ربُّ إنْ تهلِكْ هذه العصابةُ فلن تُعبَدَ في الأرضِ أبداً" .

فقال له جبريلُ : " خُذْ قبضةً من الترابِ فارمِ بها في وجوهِهِم " . فأخذ قبضةً من الترابِ فرمى بها في وجوهِهِم ، فما من المشركين أحدٌ إلا أصابَ عينيه ومنخريه و فَمهُ ترابٌ من تلك القبضةِ ، فولَّوا مدبرين .

و لقد خلّد اللهُ تعالى هذه الحادثةَ في كتابِهِ الكريمِ حيثُ قال تعالى : " و ما رميتَ إذ رميتَ و لكنَّ اللهَ رمى " ...[1] و لا بد لنا في هذه المناسبة أن نذكرَ يومَ الهجرةِ عندما وقف المشركون أمام بيتِ النبيِّ صلى الله عليه و سلم وفي أيديهمُ السيوفُ التي شُحِنَتْ حِقداً على النبي صلى الله عليه و سلم ، و كلُّهُم حريصون على قتلِهِ و التخلصِ منه .

فخرج صلى الله عليه و سلم من بينِهِم و قد أخَذَ حفنةً من ترابٍ و جعل ينثُرُها على رؤوسِهِم و هو يتلو

---

(١) الآية ١٧ من سورة الأنفال .

قولَهُ تعالى : " يس ، و القــرآن الحكيـــمِ ، إنَّـــكَ لمـــنَ المرسلين على صراطٍ مستقيمٍ .تنزيلَ العزيـــزِ الرحيـــمِ ... " إلى .. قولِهِ تعالى : " و جعلْنا من بين أيديهم سَدّاً و من خلفِهِم سَدّاً فأغشيناهم فهم لا يُبصرون " (١)

فلم يبقَ منهم رجلٌ إلا و قد وضعَ على رأسِـــهِ ترابـــاً ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكنْ معهم .

فقال لهم : ما تنتظرون هاهنا ؟

قالوا : محمداً .

قال : خَيَّبكُمُ اللهُ . قد واللهِ خرج عليكم محمدٌ ثم ما تـــرك منكم رجلاً إلا و قد وضع على رأسِهِ تراباً ، و انطلـــقَ لحاجتِهِ أما ترون ما بكم !!...

فوضع كلُّ رجلٍ منهم يدَهُ على رأسِهِ فإذا عليه ترابٌ .

و هكذا يشترك الترابُ في الدفاعِ عنِ الإسلامِ ونبيّه صلى الله عليه و سلم

---

(١)الآيات من أول سورة يس .

٧-التخييلُ :

و للتخييلِ أيضاً دورٌ هامٌ و حاسمٌ في رفعِ معنوياتِ المقاتلين و هزيمةِ أعدائِهم ، قال اللهُ تعالى : "إذ يريكَهُمَ اللهَ في منامكَ قليلاً و لو أراكَهُم كثيراً لفشِلْتمْ ولتنازعتم في الأمرِ و لكنَّ اللهَ سلَّمَ إنه عليمٌ بذاتِ الصدورِ . و إذ يَريكموهم إذِ التقَيتمْ في أعينِكم قليلاً ويقَلّلكم في أعينِهم ليقضيَ اللهَ أمراً كان مفعولاً و إلى اللهِ ترجَعُ الأمورَ "[1]

و لقد ثَبَتَ أنّ الله تعالى أرى المؤمنين الكافرين قليلاً عند لقائِهم قُبَيل المعركةِ .يقولُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه : لقد قَلّلوا في أعيننا يومَ بدرٍ حتى قلتُ لرجلٍ إلى جانبي : نراهم سبعين.

---

(١) الآيتان ٤٣ – ٤٤ من سورة الأنفال

قال : لا ، بل هم مائةً حتى أخَذْنا رجلاً منهم فسألناه فقال : كنا ألفاً .

و قال تعالى : (قد كان لكم آيةٌ في فئتينِ التقَتا فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللهِ و أخرى كافرةٌ يرونهم مِثلَيهِم رأي العينِ واللهُ يؤيدُ بنصرهِ مَنْ يشاءُ إنَّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأبصارِ)(١)

و هكذا إذاً يؤدي سلاحُ التخييلِ دوراً حاسماً وفعّالاً في نصرةِ المؤمنين ، (و اللهُ غالبٌ على أمرهِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون)(٢)

و من الجديرِ بالذكرِ أن معظَم هذه الأسلحةِ الربانيةِ أيّدَ اللهُ تعالى بها رسولَهُ الكريمَ صلى الله عليه و سلم في معركةِ الخندقِ ، حيثُ أرسلَ على الأحزابِ ريحاً قويةً أثارَتْ غباراً كثيفاً ملأَ عيونَهم ، و زلزل قلوبَهم ، وأفقَدَهم صوابهمَ و جعلهم يُوَلّون الأدبار لا

---

(١) الآية ١٣ من سورة آل عمران

(٢)الآية ٢١ من سورة يوسف عليه السلام .

يلوون على شيء . و كان أمرُ اللهِ قدراً مقدوراً ليقضـــيَ اللهَ أمراً كان مفعولاً .

(حصارُ)
(بني قريظةَ)

أصبحَ رسولُ الله صلى الله عليه و سـلم فـرأى الأحزابَ قد ذهبوا و غادروا مواقعهَم التي خيَّم عليـها الهدوءُ والأمنَ و السكينةُ ، فأمر المسـلمين أن يضَعُـوا أسلحتَهم و يرجعوا إلى المدينةِ .

فأتاه جبريلَ عليه السلامَ في صورةِ رجلٍ يقـالُ له: (دحيةَ الكلبي) و كان غالباً ما يأتيـه فـي هـذه الصورةِ ، أتاه راكباً على فرسٍ فقال : يـا محمـدُ ، إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضَعتِ الملائكةُ سـلاحَها ، إن اللهَ يأمرُكَ أن تخرجَ إلى بني قريظةَ ، و إني متقـدمٌ إليهم فمزلزلٌ بهم حصونَهم .

فأمرَ النبيُّ صلى الله عليه و سلم منادياً أن ينـادي في القومِ : لا يُصَلّينَ العصرَ أحدٌ إلا في بني قريظةَ .
فاستجاب المسلمون لداعي الجهادِ في سبيلِ اللهِ ، وانطلقوا مسرعين يتسابقونِ إلى اللحاق برسولِ الله صلى الله عليه و سلم على الرغمِ من التعبِ الذي لحق بهم ، و الجوعِ الذي أصابهم .

و أعطى النبيُّ صلى الله عليه و سلم الرايةَ لعلي ابنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه الذي انطلق إلى بني قريظةَ على رأسِ طائفةٍ من المسلمين ، فلما أشرف على حيهم سمعهم يسبّون النبيَّ صلى الله عليه و سلم وينالون منه.

فرجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه و سلم فأخبَرهُ خبرَهم ، و ما سمِعَ منهم ، فتوجَّهَ إليهمُ النبيُّ صلى الله عليه و سلم فقال لهم : نقضتُمُ العهدَ يا إخوةَ

القردةِ والخنازيرِ ٠٠٠!! ٠٠٠ أخزاكُمُ الله و أنزل بكم نقمتَهُ .

فقالوا : ما كنتَ جاهلاً يا أبا القاسمِ ، فلا تجهلْ علينا .

فحاصَرهم بضعاً و عشرين ليلةً ، فلما أيقنوا أنه لن ينصرفَ عنهم ، و لن يفكَّ حصارَهم حتى يناجزَهم ويعاقبَهم جزاءَ خياناتِهم و نقضِهمُ العهدَ . قال لهم زعيمَهم كعبَ بنَ أسدٍ : يا معشرَ يهودَ ، قد نزل بكم من الأمرِ ما ترون ، و إني عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً فخذوا أيَّها شئتُمْ .

قالوا : و ماهي ٠٠٠ ؟

قال : نتابعُ هذا الرجلَ و نصدقُهُ ، فو اللهِ لقد تبَيَّنَ لكم إنه لنبيٌّ مرسَلٌ و إنه كالذي تجدونه في كتابِكم فتأمنون به على دمائِكم و أموالِكم و أبنائِكم و نسائِكم .

قالوا : لا نفارقُ حكمَ التوراةِ أبداً ، و لا نستبدلُ به غيرَهُ

قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه فهلمَّ فلْنقتلُ أبناءَنا و نساءَنا ثــم نخرجُ إلى محمدٍ و أصحابِهِ رجالاً بالسيوفِ مُصلِتين لــم نُترك وراءَنا ثقلاً حتى يحكمَ اللهُ بيننا و بين محمدٍ ، فإنْ نهلِكْ ، نهلِكْ و لم نترك وراءَنا نسلاً نخشى عليه ، و إنْ نظهرْ فلَعمْري لنجدَنَّ النساءَ و الأبناءَ .

قالوا : أنقتلُ هــؤلاءِ المســاكين ، فمــا خــيرُ العيــشِ بعدَهم ٠٠ ؟

قال : فإن أبيتم عليَّ هذه ، فالليلةُ ليلــةُ الســبتِ و إنــه عسى أن يكونَ محمدٌ و أصحابُهُ قد أمِنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيبُ من محمدٍ و أصحابِهِ غِرةً .

قالوا : أنفسِدُ سبتَنا و نحدثُ فيه ما لم يُحدثْ فيه مَنْ كان قبلنا إلا مَنْ قد علمت ، فأصابَهُ ما لم يخفَ عليك مــــن المسخِ ٠٠٠ ؟

فقال : ما بات رجلٌ منكم منذ ولدَتْهُ أمَّهُ ليلةً من الدهــرِ حازماً .

فاختلفوا بينهم ، و لم يبقَ أمامهم بعـــد ردِ هـــذه الخصالِ الثلاثِ ألا أن يرضَوا بواقِعِهم و ينزلوا علـــى حكمِ رسول اللهِ صلى الله عليه و سلم أذّلاء صـــاغرين ولكنهم قبل أن يتخذوا قرارَهم رغبوا أن يتصلوا ببعضِ حلفائِهِم من المسلمين لعلهم يعرفون مصـــيرَهم و مـــاذا سوف يحلُّ بهم إذا هم نزلوا على حكمِهِ .

(قصةُ أبي لبابة)

بعث زعماءُ بني قريظةَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن أرسلْ إلينا أبا لبابةَ نستشيرَهُ ، و كان حليفاً لهم، و كانت أموالُهُ وولدَهُ في حيِّهِمِ ، فاستجاب رسولَ الله صلى الله عليه و سلم لرغبتِهِمْ ، فأرسله إليهم.

فلما رأوهَ مقبلاً قام إليه الرجالُ ، وأجهش النساءَ و الصبيانَ يبكونَ في وجهِهِ فَرَقَ لهم ، و حزن عليهم فقالوا له : يا أبا لبابةَ ، أترى أن ننزلَ على حكمِ محمدٍ...؟

قال : نعم ، و أشار بيدِهِ إلى حلقِهِ يقولُ : إنه الذبحُ إنْ نزلتم على حكمِهِ . و لكنه لم يلبثْ أن نِدمَ على ما فعل ، و علم أنه قد خان الله و رسوله ، فمضى على وجهِهِ ولم يرجعْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه و سلم خجلاً منه ، و لم يستطعْ أن يقابلَهُ ، فذهبَ إلى المسجدِ

النبوي فربط نفسَهُ بساريةِ المسجدِ ، و حلف أن لا يحُلَّـهُ إلا رسولُ الله صلى الله عليه و سلم .

و بقي على هذه الحالِ ستَ ليالٍ ، فكانتِ امرأتَـهُ تأتيهِ في وقتِ كلِ صلاةٍ فتحلُّهُ للصلاةِ ثم يعودُ فيرتبطُ ، و كان خلالَ هذه الفترةِ يعيشُ في قلقٍ شديدٍ ، و عـذابٍ نفسي أليمٍ ، و فيه أنزل اللهُ عز وجل قولَهُ : (يا أيـها الذين آمنوا لا تخونوا اللهَ و الرسولَ و تخونوا أمانـاتِكمْ و أنتم تعلمون)[1]

فبلغَ خبرُهُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه و سلم وكان قدِ استبطأه فقال : أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، وأمّا إذ قد فعل ما فعل فلا أطلقُهُ حتى يطلقَهُ اللهُ تعالى .

ثم نزلَتْ توبتُهُ على رسولِ الله صلـى الله عليـه وسلم سحراً و هو في بيتِ أمِ سلمةَ .قـال اللهُ تعـالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهِم خلطوا عملاً صالحاً و آخـرَ سيئاً عسى اللهُ أنْ يتوبَ عليهم إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ)[1]

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الأنفال . (١) التوبة : ١٠٢

فقامَتْ أمُّ سلمةَ على بابِ حجرتِها و قالت : يا أبا لبابةَ ، أبشِرْ فقد تابَ اللهُ عليك .

فانطلق المسلمون إليه ليطلقوه فأبى أنْ يُطلقَهُ أحدٌ إلّا رسولُ الله صلى الله عليه و سلم ، فمرَّ به رسولُ الله صلى الله عليه و سلم ذاهباً إلى صلاةِ الصبحِ فأطلقَهُ بعد أن قبل اللهُ تعالى توبتَهُ ، و عفا عنه ، و غفر له هفوتَـــهُ واللهُ غفورٌ رحيمٌ .

(الحكمُ على بني قريظة)

لم يبقَ لبني قريظةَ بعد ذلك إلّا أنْ ينزِلوا علـــى حكمِ رسولِ الله صلى الله عليه و ســلم ، و ينصـاعوا لأمرِهِ بعد أن فقدوا آخرَ أملٍ يتمسكون به ، و قطعوا كلَّ خيوطِ الرجاء ، و ما هي إلّا محاولاتٌ يائسةٌ لا تجديـهِمْ نفعاً ، و لا تدفعُ عنهم خطراً ، و لا تشـفعُ لـهم عنـد رسولِ الله صلى الله عليه و سلم شيئاً .

فقد حاق بهمُ العذابُ ، و حقَّ عليـهمُ العقـابُ ، ونزل بسـاحتِهِمِ البطـشُ و الانتقـامُ جـزاءَ غدرِهـم وخيانتِهِم.

و لكنَّ الأوسَ الذين كانوا حلفاءهم قبل الإسـلامِ حاولوا أن يشفعوا لهم عند رسولِ الله صلى الله عليه

وسلم ، فتواثبوا عليه و قالوا : يا رسولَ الله ، قد علمت أنهم حلفاؤنا ، و قد أسعَفتَ عبدَ الله بنَ أُبَيِّ بنِ سلولٍ في بني النضيرِ حلفاءِ الخزرجِ ، فلا يكنْ حظُّنا أوكسَ [1] عندك من حظِّ غيرِنا ، فهم موالينا .

فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه و سلم : ألا ترضَون يا معشرَ الأَوسِ أن يحكمَ فيهم رجلٌ منكم ٠٠٠؟

قالوا : بلى

قال : إنه سعدُ بنُ معاذٍ .

فوافقوا جميعاً على أن يحكمَ فيهم سعدُ بنُ معاذ .

فجيءَ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه و سلم ، و المسلمون يقولون له : يا أبا عمروٍ ، أحسِنْ في مواليك فإن رسولَ الله صلى الله عليه و سلم إنما ولاّك ذلك لتحسنَ فيهم . و أخذوا يلحّون عليه أن يحسنَ فيهم.

---

(١) أوكس : أنقص .

فلما أكثروا عليه ذلك قال : قــد آنَ لسـعدٍ أن لا تأخذَه في اللهِ لومةُ لائمٍ .

ثم قال لرسولِ الله صلى الله عليه و سلم : فــإني أحكمُ فيهم أنْ تُقَتلَ الرجالُ ، و تقسمَ الأموالُ ، و تُسـبى الذراوي و النساءُ .

فقال له النبيَّ صلى الله عليه و سلم : لقد حكمـتَ فيهم بحكمِ اللهِ من فوقِ سبعةِ أرقعةٍ .[1]

لماذا ... ؟

لأنهم خانوا العهودَ و المواثيقَ أكثرَ من مرةٍ ، و تـآمروا على الإسلامِ و أهلِهِ و عاونوا المشركين علـى حـربِ المسلمين و إبادتِهِم في أحرجِ ظرفٍ ، و أقسـى فـترةٍ كانوا يمرون بها في حياتِهِم ، فأصبحوا بعملِهِم هذا مـن أكبرِ مجرمي الحـروبِ الذين يستحقـون المحاكمـةَ

---

(١) سبعة أرقعة : سبع سموات

والإعدام و القصاصَ العادلَ ، و همُ الذين قال اللهُ تعالى فيهم : (الذين عاهدْت منهم ثم ينقضون عهدَهم في كلِ مرةٍ و هم لا يتّقون . فإمّا تثقفنّهم في الحربِ فشرِّدْ بهم مَنْ خلْفَهم لعلهم يذّكّرون . و إمّا تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانبِذْ إليهم على سواءٍ إنّ اللهَ لا يحبُّ الخائنين .
و لا يحسَبَنَّ الذين كفروا سبَقوا إنهم لا يُعجِزون)[٢]
صدق اللهُ العظيمُ .

و هؤلاءِ اليهودُ خانوا اللهَ و الرسولَ ، واستهتروا بعهدِ رسولِ الله صلى الله عليه و سلم ، و تآمروا على الإسلامِ ، و بيّتوا لأهلِهِ القتلَ و الإبادةَ .
طامعين في عفوِ النبي صلى الله عليه و سلم الذي عفا عنهم أكثرَ من مرةٍ ، فاتخذوا من ذلك العفوِ سبيلاً لخيانةِ

(٢)الآيات ٥٦ – ٥٩ من سورة الأنفال

الرسولِ صلى الله عليه و سلم ، و الاستهانةِ بعهدِهِ وميثاقِهِ ، و القيامِ بغدرِهِ و المكرِ به .

(يهودَ بني النضير)

و لا ننسى الدورَ القذرَ الذي قام به يهودُ بني النضيرِ الذين تآمروا على قتلِ رسولِ الله صلى الله عليه و سلم يومَ أنْ ذهب إليهم يستعينُهم في ديةِ قتيلين حسب اتفاقٍ مسبقٍ ، فقالوا له : نعم يا أبا القاسمِ ، نعيُنك على ما أحبْبَت مما استعنتَ بنا عليه .

ثم خلا بعضُهم ببعضٍ فقالوا : إنكم لـــن تجـــدوا الرجلَ على مثلِ حالِهِ هذه ، و كان رسولُ الله صلـى الله عليه وسلم جالساً بقربِ جدارٍ من بيتٍ مــــن بيوتِـــهِم ، وقالوا : مَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيـــتِ فيلقـــيَ عليـــه صخرةً فيريحنا منه ... ؟

ثم أخذوا في تنفيذِ مؤامرتِهِمُ الدنيئةِ فاختاروا لـــها عمروَ بنَ جحاشٍ الذي صعدَ السطحَ ليكمِلَ المؤامرةَ ،

فأبطل اللهُ كيدَهم ، و فضح أمَرهم ، و أعلَمَ نبيَّــه صلى الله عليه و سلم بتآمرِهِم .

من أجلِ هذا أعلنَ عليهِمُ النبيُّ صلـــى اللهُ عليــه وسلم الحربَ ، و أرسلَ إليهم أنِ اخرجوا من بـــلادي ، فلقد نقضتُمُ العهدَ الذي جعلتُ لكم بما هممتـــم به مـــن الغدرِ بي لقد أجّلتكّم عشراً فمن رُئي بعد ذلك ضُرِبَـــتْ عُنقهُ .

(يهود بني قينقاع)

و بنو قينُقاعَ الذين كانوا أشجعَ يهودَ ، و أشـــدَّهم بأساً ، وأقواهم شكيمةً فقد حقدوا كغيرِهِم على المسـلمين لانتصارِهِم ببدرٍ فأخذوا يتحرّشون بـــهم ، و يتنكّــرون للعهدِ الذي بينهم و بينَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه و سـلم مخافةَ أن يستفحلَ أمْــرهُ فـــلا يســتطيعون أنْ يملكِــوا مقاومَتَهُ بعد أنِ انتصرَ على قريشٍ فـــي أولِ مواجهـــةٍ حقيقيةٍ وقَعتْ بينه و بينهم .

و لقد أنذَرَهُم رسولُ اللهِ صلى الله عليه و سـلم ، وحذَّرَهُم مغبَّةَ عملِهِم و نقضِهِمْ للعهد ، فجمعــــهم فـــي سوقِ بني قينقاعَ و قال لهم : يا معشرَ يهودَ احذروا مــن اللهِ مثلَ ما نزل بقريشٍ من النقمةِ و أسلموا فــــإنكم قـــد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ ، تجدون ذلك في كتابِكم و عـــهدِ اللهِ إليكم ، فردّوا عليه بكل تبجحٍ و غطرسةٍ و عنادٍ :

يا محمدُ إنَّكَ ترى أنّا قومُك ! لا يغرنَّكَ أنَّكِ لقيْتَ قوماً لا علمَ لهم بالحربِ فأصبـتَ منهم فرصةً ، إنا و الله لئن حاربناك لتعلَمَنَّ أنّا نحنُ الناسُ .

فأنزلَ اللهُ عز و جل فيهم قولهُ " قُلْ للذين كفروا ستُغلَبون و تُحشَرون إلى جهنمَ و بئسَ المهاد . قد كان لكم آيةٌ في فئتينِ التقَتا فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللهِ و أخرى كافرةٌ يرونهم مثلَيْهم رأيَ العينِ و اللهُ يؤيدُ بنصرهِ من يشاءُ إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصارِ " (١)

و لقد ثبتَ أن بني قينقاعَ كانوا أولَ يهودَ نقضوا ما بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و لقد ظلّوا على غدرِهِم و نقضِهِمُ العهودَ و المواثيقَ وتحرشِهِم بالمسلمين إلى أن قدمَتِ امرأةٌ مسلمةٌ ببضاعةٍ لها ، فجلست إلى جانبِ صائغٍ بعد أن باعَتْ بضاعتَها ، فجعلوا يطلبون منها أن تكشفَ عن وجهها ، فأبَتْ ، فعمد الصائغُ إلى طرفِ ثوبهِا فعقدَهُ إلى ظهرِها ، فلما

---

(١)الآيتان ١٢ – ١٣ من سورة آل عمران .

قامَتْ ظهرَتْ سوءتُها ، فجعلوا يشيرون إليها ويضحكون ، فصاحَتْ مستغيثةً فقام رجلٌ من المسلمين بدافعِ النخوة والغيرةِ و الشهامةِ الإسلاميةِ فانقضَّ على اليهودي فقتلهُ و شدَّتِ اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فانتصرَ المسلمون لأخيهم و هجموا على اليهودِ حتى وقع بينُهمُ القتالُ .

فبلغ الخبرُ رسولَ الله صلى الله عليه و سلم ، فجمع المسلمين و حاصر بني قينقاع خمسَ عشرة ليلةً حتى نزلوا على حكمِهِ ، و انصاعوا لأمرِهِ ، و وقفوا بين يديه أذلاّءَ صاغرين ينتظرون ما سيصنعُ بهم رسولُ الله صلى الله عليه و سلم و لولا شفاعةُ عبدِ اللهِ ابنِ أبي بنِ سلول بهم لقتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جميعاً الذي قَبِل شفاعةَ عبدِ الله بنِ أبَي شريطة أن يخرجوا من المدينةِ ، و يجلوا عنها تماماً ، و أن يأخذوا معهم أموالَهم عدا السلاحِ فقبل عبدُ الله بنُ أبَي ، و قبلَتْ بنو قينقاعَ وخرجوا من المدينةِ .

و بذلك تخلَّصَتِ المدينةُ المنورةُ من حيّ يــهوديّ ذي قوةٍ و شكيمةٍ ، و كان من آخرِ وصايا النبي صلــى الله عليه و سلم قولهُ :(أخرجوا اليــهودَ مــن جزيــرةِ العربِ ، لا يبقى في جزيرةِ العربِ دينان)

و بنو قريظةَ لا يختلفون عن غيرِهم مــن يــهودِ بني النضيرِ و يهودِ بني قينقاعَ الذين تجمعوا في حصــنِ خيبرَ ، و كان أكبرَ معقلٍ لليهودِ في الجزيــرةِ العربيــةِ وأمنعَ حصونِها .

و هناك في خيبرَ جمع اليهودُ كلمتَهم ، و وحّــدوا صفَّهم ، و تأهبوا للإغارةِ على المسلمين في المدينةِ .

و لم يكدِ الخبرُ يصلُ إلى رسولِ الله صلــى الله عليه و سلم حتى سارعَ إلى مهاجمتِهم قبل أن يتصلــوا بحلفائِهم من أسدٍ و غطفان .

لم يشعرْ أهلُ خيبرَ إلا و جيشُ المسلميــن قــد

فاجأهم حولَ خيبرَ ، فدُهِشوا و صُدِموا بصورةٍ عنيفةٍ ، و قذف اللهُ الرعبَ في قلوبِــــهِم ، أفقدَهُــمْ صوابَــهم ، والسيطرةَ على أنفسِهِم .

(أمرُ الشاةِ المسمومةِ)

لم يتخلَّ اليهودُ عن غدرِهِمْ و مكرِهِمْ و تــآمرِهِمْ على رسولِ الله صلى الله عليه و سلم الذي صالحــهم ، ومنحهم حقَّ العيشِ مع المسلمين بسلامٍ ، فدعوا رســولَ الله صلى الله عليه و سلم إلى طعامٍ ، فدَسَّتْ فيه زينــبُ بنتُ الحارثِ سُمّاً بعد أن سألَتْ عن أيِّ عضوٍ من الشاةِ أحبُّ إليه ...؟

فقيل لها : الذراعُ .

فأكثرَتْ فيه من السُّمِ ، و لكنَّ العليمَ الخبيرَ أطلعَ نبيّــه صلى الله عليه و سلم على المؤامرةِ ، و كشف له تلــك الخيانةَ ، فأنطق الذراعَ يقولُ النبيُّ صلى الله عليه و سلم : إن هذا العظمَ ليخبرُني أنه مسمومٌ ، ثم دعا تلك المرأةَ فقال لها : مــا حملكِ على ذلك ...؟

فقالَتْ : بلغتَ من قومي ما لم يخفَ عليك ، فقلتُ: إن كان ملكاً استرحتُ منه ، و إن كان نبياً فسيخبرُه اللهُ .

فعفى عنها ، و غفر لها

فلا عَجَبَ إذن أن يحكمَ فيهم سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه بهذا الحكم الصارم و أن يقرَهُ عليه النبيُّ صلى الله عليه و سلم ، و أن يُتَوَّجَ هذا الحكم بموافقةِ اللهِ تعالى عليه من فوقِ سبعِ سماواتٍ .

لقدِ اختاروا هذا الحكمَ باختيارِهِم و ظلمِهِم لأنفسِهِم ، و ما ظلمهمُ اللهُ و لكن كانوا هُمُ الظالمين ، وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيدِ .

(نهايةُ بني قريظةَ)

بعد أن حكمَ سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه على بني قريظةَ بقتلِ الرجال ، و تقسيمِ الأموالِ ، و سبي الذراري و النساء ، و صودِقَ هذا الحكمُ من قِبَلِ النبي صلى الله عليه و سلم ، كان لا بدَّ من تطبيقِهِ والإشرافِ على تنفيذِهِ عملياً .

فجيءَ برجالِ بني قريظةَ فحفِرَتْ لهم خنادقُ في سوقِ المدينةِ ، و سيقوا إلى تلك الخنادقِ أرسالاً ، لتُضربَ فيها أعناقُهم .

فقال بعضُهم لزعيمِهِم كعبِ بنِ أسدٍ : ما تراه يصنعُ بنا ٠٠٠؟

فقال : أفي كلِ موضعٍ لا تعقلون ٠٠٠؟ أما ترون الداعيَ لا ينزعُ ، و الذاهبَ منكم لا يرجعُ ٠٠٠؟

هو واللهِ القتلُ ، و كانوا بين الستِمائةِ إلى السـبعمائةِ ، فضُرِبَتْ أعناقُهم جميعاً .

ثم جيءَ بعدوِ اللهِ حُيَيِ بنِ أخطبَ مجموعةً يـداه إلى عنقِهِ ، فنظر إلى رسولِ الله صلى الله عليه و سـلم وقال له : أما واللهِ ما لمتُ نفسي في عداوتِكَ ، و لكنـهُ مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يخذَلْ ، ثم أقبل على الناسِ فقال لهم : أيها الناسُ ، إنه لا بأسَ بأمـرِ اللهِ ، كتابٌ و قدرٌ ، و ملحمةٌ كتبها اللهُ على بني إسرائيل ، ثم جلس فضُرِبَتْ عنقُهُ .

هذا هو المنطقُ السليمُ الكفيلُ بتخليـصِ البشـريةِ من شرورِهم و فسادِهم ، و لقد مكَّنَ اللهُ تعالى المسلمين منهم ، و نصرهم عليهم ، و أورَثَهم أرضَهـم و ديارَهم و أموالَهم و جعلها فيئاً لهم .

و نسألُ اللهَ تعالى أن يجمعَ شـملَ المسـلمين ، ويوحّدَ صفَّهم تحت رايـةِ الإسلامِ ، و تحتَ كلمةِ لا إلهَ إلا اللهُ ، مـحمدٌ رسولُ الله للانتصارِ علـى الصهاينـةِ الغزاةِ الذين يعيثون بأرضِ فلسطينَ العربيةِ الفسادَ على

مرأىً و مسمعٍ من العالم كلِّـــهِ . و أن يوفــقَ العــربَ والمسلمين ، و يجعلَهم صفاً واحداً ، و كلمةً واحدةً أمــام الغزوِ اليهودي الذي يستهدفُ أمـــن العربِ و المسلمين وأرضَهم و دينهم ومقدساتِهم ، (واعتصمـــوا بحبــلِ اللهِ جميعاً و لا تَفَرّقوا)[1]

يا أيها الذين آمنوا إذا لقِيتم فئةً فاثبتوا و اذكـــروا اللهَ كثيراً لعلكم تفلحون . و أطيعوا اللهَ و رســـولَهُ و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهبَ ريحُكم و اصبروا إنّ اللهَ مـــع الصابرين)[2] صدق الله العظيم .

و لقد خَلَّدَ اللهُ عـــز وجــلّ معركــةَ الخنــدقِ ، والقضاءَ على يهودِ الجزيرةِ العربيةِ في كتابِهِ العزيـــزِ ، و جعلهما آيةً و عبرةً و عظةً إلى يومِ القيامةِ ، قـــال اللهُ تبارك و تعالى :(وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظِهِم لم ينـــالوا

---

(١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران . (٢) الآيتان ٤٥-٤٦ مـــن ســـورة الأنفال .

خيراً و كفى اللهُ المؤمنين القتالَ و كان اللهُ قوياً عزيزاً. و أنزل الذين ظاهروهم من أهلِ الكتابِ من صياصيهِم و قذفَ في قلوبِهِمُ الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسِرون فريقاً . وأورثكم أرضَهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤوها و كان اللهُ على كلِ شيءٍ قديراً)[1] صدق الله العظيم .

و قُتِلَ من نساءِ بني قريظةَ يومئذٍ امرأةٌ واحدةٌ هي بنانةُ امرأةَ الحكمِ القرطي التي طرحَتِ الرحى على خلاّدِ بنِ سويد فقتلَتْهُ ، فقُتِلَتْ لأجلِ ذلك .

و أمر رسولُ الله صلى الله عليه و سلم بقتلِ كلِ مَنْ أنبتَ [2] منهم و ترك مَنْ لم ينبِتْ ، فكان منهم عطيةُ القُرظي ، فتُرِكَ حياً و هو مذكورٌ في الصحابةِ .

ووهب رسولَ الله صلى الله عليه و سلم لثابتِ بنِ قيس الزبيرَ بنَ باطا و أهلَهُ و مالَهُ .

و كان للزبيرِ بنِ باطا يدٌ عند ثابتِ بنِ قيس ،

---

(١) الآيات ٢٥ – ٢٧ من سورة الأحزاب . (٢) من أنبت : هو البالغ .

فقال ثابتُ بنُ قيس للزبيرِ :

قدِ استوهبتُك من رسولِ الله صلى الله عليه و سلم ليدِك التي عندي .

فقال الزبيرُ : ذلك يفعلُ الكريمُ بالكريمِ .

ثم قال له : و كيف يعيشُ رجلٌ لا ولدَ له ولا أهلَ ...؟

فذكر ثابتٌ ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه و سلم فأعطاه أهلَهُ وولدَهُ .

فقال الزبيرُ : كيف يعيشُ رجلٌ لا مالَ له ...؟

فذكر ثابت ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه و سلم فأعطاه مالَهُ .

فقال الزبيرُ بعد أن علم بمقتلِ قومِهِ : سألتُك بيديَ عندك يا ثابت إلا ألحقْتني بالأحبةِ .

و يروى أنه قال له : برئَتْ ذمتُك ، ألحقني بالأحبةِ .

فضرب ثابتٌ عنقَهُ و ألحقَهُ بأحبتِهِ من اليهودِ إلى النارِ و بئس المصيرُ . و اليدُ التي كانت للزبيرِ عند

ثابت ، ما روي أنه أسره يومَ بُعــاث ، فجــزَّ ناصيتَــهُ وأطلَقَهُ جرياً على عادةِ العربِ في الجاهليةِ أنهم كانوا إذا أطلقوا الرجلَ الشريفَ بعد أســـرِهِ جــزّوا ناصيتَــهُ واحتفظوا بها ، و في ذلك يقولُ شاعِرُهم :

كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمن   و جزّ ناصيةٍ كــنا مــواليها

و استحيا ثابتُ بنُ قيس من ولدِ الزبيرِ بنِ باطـــا عبدَ الرحمنِ بنَ الزبيرِ فأسلم و هو مذكورٌ في الصحابةِ.

و استوهبَتْ أمُّ المنذر سلمى بنتُ قيسٍ البخاريـــةُ رفاعةَ بنَ سَمَوءَلَ القرظي فوهبها إياه رسولُ الله صلـــى الله عليه و سلم ، فأسلم و له صحبةٌ .

و قسَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه و سلم أمـــوالَ بني قريظةَ ، فجعل للفارسِ ثلاثةَ أســـهمٍ ، و للراجـلِ سهماً واحداً .

ووقع للنبي صلى الله عليه و سلم مـــن سـبيهِم ريحانةُ بنتُ عمروٍ فلم تزلْ عنده إلى أن مات صلـى الله عليه و سلم .و قال الكلبي : إنه صلى الله عليه و سـلم أعتقَها وتزوجَها سنةَ ستٍ ، و ماتت مرجَعهُ من حجـةِ الوداعِ ، فدفنها بالبقيعِ رضي الله عنها و أرضاها .

و قُتِلَ من الكفارِ ثلاثةٌ و هم :

١–منبهُ بنُ عثمانَ بنِ عبيد الذي أصابه سهمٌ مات منـه بمكةَ .

٢–نوفلُ بنُ عبدِ الله بنِ المغيرةِ المخزوميُّ الذي اقتحـم الخندقَ فتورط فيه فقُتِلَ كما تقدَّمَ ، فدفع المشـركون في جسدِهِ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فرفضها النبيُّ صلـى الله عليه و سلم و قال لهم : لا حاجةَ لنا بجسـدهِ ولا بثمنِهِ .

٣-عمروُ بنُ عبدِ ودٍ العامريٌّ الذي قتله عليٌّ رضـــــي الله عنه مبارزةً كما تقدَّمَ .

٤-رجلٌ من اليهودِ مجهولٌ .

قال ابنُ اسحاقَ : حدثني يحيى بنُ عبّادِ بنِ عبــدِ اللهِ بنِ الزبيرِ عن أبيه عبادِ قال :

كانت صفيةُ بنتُ عبدِ المطلب في فارع حصــــنِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، قالت :

و كان حسان معنا فيه مع النساءِ و الصبيـــانِ ، فمرَّ بنا رجلٌ من يهودَ فجعل يطيــفُ بــالحصنِ و قــد حاربَتْ بنو قريظةَ و قطعَتْ ما بينها و بين رســولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم ، و ليس بيننا و بينهم أحدٌ يدفــــع عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون في نحورِ عدّوِهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذا أتانا آتٍ فقلتُ :يا حسانُ ، إن هذا اليهوديَّ كمــا تــرى يطيفُ بالحصنِ و إني و اللهِ ما آمُنــهُ أن يــدلَّ علــى عوراتِنا مَنْ وراءَنا مِنْ يهودَ ، و قد شُــغِلَ رســولُ الله صلى الله عليه و سلم و أصحابُهُ فانزِلْ إليه فاقتلْهُ .

قال : يغفرُ الله لك يا بنتَ عبدِ المطلب و اللهِ لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا .

قالَتْ : فلما قال لي ذلك و لم أرَ عنده شيئاً ، احتجزت[1] ثم أخذتُ عموداً ، ثم نزلتُ من الحصنِ إليه فضربتُهُ بالعمودِ حتى قتلْتُهُ ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصنِ فقلتُ : يا حسانُ ، انزل فاستلبْهُ ، فإنه لم يمنعْني من سلبِهِ إلّا أنه رجلٌ .

قال : مالي بسلبِهِ حاجةٌ يا ابنةَ عبدِ المطلبِ .

هذا و لم أهتدِ لاسمِ هذا اليهودي ... و الله أعلم .

---

(١) احتجزت : جمعت ثيابها .

(ذكرُ مَنْ أُصيبَ من المسلمين)

أُصيبَ يومئذٍ من المسلمين سعدُ بنُ معاذٍ رضـــي الله عنه

تقولُ السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها :

و كانَتْ أمُّ سعد بنِ معاذٍ معها في حصـــنِ بنـــي حارثةَ ، فَمرَّ سعدٌ و عليه درعٌ له مقلصةٌ قـــد خرجَـــتْ منها ذراعُهُ كلُّها ، و في يدِهِ حربةٌ يرقد[1] بها و يقولُ :

لبّث قليلاً يشهدِ الهيجا جملْ

لا بأسَ بالموتِ إذا حان الأجلْ

فقالت له أمُهُ : الحق أي بُنَيَّ فقد و اللهِ أُخِّرْتَ .

قالت عائشةُ : فقلتُ لها يا أمَّ سعدٍ و اللهِ لـوددْتُ أنَّ درعَ سعدٍ كانت أسبغَ [2] مما هي .قالت : وخفتُ عليه حيـــث أصاب السهمُ منه ، فرميَ سعدُ بنُ معاذ بسهمٍ فقطع منه الأكحلَ[3] ، رماه حبانُ بنُ قيس بنِ العرِقة ، فلما أصابه

---

(١)يرقد : يسرع (٢) أسبغ : أطول وأكمل (٣) الأكحل :عرق في الذراع

قال : خذها مني و أنا ابنُ العرِقةِ .

فقال له سعدٌ : عَرَّقَ اللهُ وجهَكَ في النارِ .

ثم دعا ربَّهُ عز وجل قائلاً :

اللهمَّ إن كنتَ أبقيتَ من حربِ قريشٍ شيئاً فأبقني لـــها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إليَّ أن أجالدَهم من قومٍ آذوا رســـولَكَ وكذّبوه و أخرجوه .

اللهم و إن كنتَ قد وضعتَ الحربَ بيننا و بينهم فاجعلْــهُ لي شهادةً ، و لا تُمتِني حتى تقرَّ عيني في بني قريظةَ

(وفاة سعد بن معاذ)

و لما حكم على بني قريظـــةَ بقتـلِ الرجـالِ ، وتقسيمِ الأموالِ ، و سبي الذراري و النســـاءِ أقــرَّ اللهُ عينَهُ، وشفا صدرَهْ ، و أجاب دعاءهُ ، فانفجر جرحُهُ من الليل وجعل الدمُ يسيلُ حتى مات شهيداً رضي الله عنـــه وأرضاه .

فنزل جبريلُ عليه السلامُ على النبي صلـــــى الله عليه وسلم فقال :

يا محمدُ ، مَنْ هذا الميتُ الذي فُتِحَتْ له أبـــوابُ السماءِ و اهتزَّ له العرشُ ... ؟

فقام النبيُّ صلى الله عليه و سلم مســـرعاً يجــرُّ ثوبَهُ إلى سعدٍ فوجدَه قد مات ، فنظر إليه ملياً ثم قال :

هنيئاً لك يا أبا عمرو ...

يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه : كنـــتُ ممــن حفروا لسعدٍ قبرَه ، و كنا كلما حفَرْنا طبقةً مــن تــرابٍ شَممْنا ريحَ المسكِ حتى انتهينا إلى اللحدِ .

و لقد حزن المسلمون على موتِهِ حزناً شـــديداً ، ولكن سرعانَ ما انقلبَ حزنُهم إلى فرحٍ ، و كربُهم إلـــى فَرجٍ و سرورٍ حين سمعوا رسولَ الله صلـــى الله عليـــه وسلم يقولُ : لقدِ اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموتِ سعدِ بنِ

معاذٍ ، ولقد ضَمَّهُ القبرُ ضمةً .أي أن ملائكـــةَ الســماء فرحوا بقدومِ روحهِ الطاهرةِ واهتزوا له .

و قال رسولُ الله صلى الله عليه و سلم : لقـــد هبط يومَ ماتَ سعدُ بنُ معاذٍ سبعون ألـــفَ ملـكٍ إلـى الأرضِ لم يهبطوا قبل ذلك ، و لقد ضَمَّهُ القبرُ ضمـــةً فرضي اللهُ عنه و أرضاه و أسكنه فسيحَ جناتِهِ .

كما استُشهِدَ خمسةٌ آخرون في تلك المعركةِ ، و هم :

١-أنسُ بنُ أوسِ بنِ عتيك .
٢-عبدُ الله بنُ سهلٍ ، و كلاهما من بني عبدِ الأشهلِ
٣-الطُفيلُ بنُ النعمان .
٤-ثعلبةُ بنُ غنمةَ ، و كلاهما من بني سلمةَ .
٥-كعبُ بنُ زيدٍ من بني دينارِ بنِ النجار .

٦-خلاّدُ بنُ سويدِ بنِ ثعلبةَ الذي طرحَتْ عليه الرحى امرأةٌ من بني قريظة فقتلَتْهُ .

٧-و مات في الحصار أبو سنانَ بنُ محصَنِ أخو عكاشةَ بنِ محصنٍ ، فدفنه رسولُ الله صلى الله عليه و سلم في مقبرةِ بني قريظةَ .

و لم يُصَبْ يومئذٍ غيرُهم ، فرضي اللهُ عنهم ، وعن جميعِ شهداءِ المسلمين و أدخلهم فسيحَ جناتِهِ.وجعلنا اللهُ عز وجل من أتباعِهِم و المقتدين بهم في أقوالِهِم و أفعالِهِم و أخلاقِهِم و سلوكِهِم (أولئك الذين هدى اللهُ فبهداهُمُ اقتده)[1] .

أولئك الذين خَلَّدَ اللهُ عز وجلَّ ذكراهم في كتابِهِ العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه و لا من خلفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ .

(مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قضى نحبَه و منهم مَنْ ينتظرُ و ما بدلوا تبديلاً)[2]

---

(١) الآية ٩٠ من سورة الأنعام . (٢) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

كما خلَّدَ اللهُ عز وجل معركةَ الخندقَ و جعلها آيةً وعبرةً لكلِ مَنْ يتلوها و يقفُ على دقائقِها إلى يـــومِ القيامةِ بقولهِ تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ جاءتْكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لـــم تروهــا وكان اللهُ بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم مـــن فوقكــم ومن أسفلَ منكم و إذ زاغتِ الأبصارُ و بلغتِ القلـــوبُ الحناجرَ و تظنون باللهِ الظنونا هنالك ابْتُلـــيَ المؤمنـــون وزلزلوا زلزالاً شديداً)[1]

إلى قولهِ تعالى :

(وردّ اللهُ الذين كفروا بغيظِهِم لم ينـــالوا خـــيراً وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ و كان اللهُ قويـــاً عزيـــزاً)[2]

صدق الله العظيم

تمتِ الرسالةُ و الحمد لله ربِ العالمين

و إلى لقاءٍ مع رسالةٍ أخرى

---

(١)الآيات ٩ – ١١ من سورة الأحزاب (٢) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب .

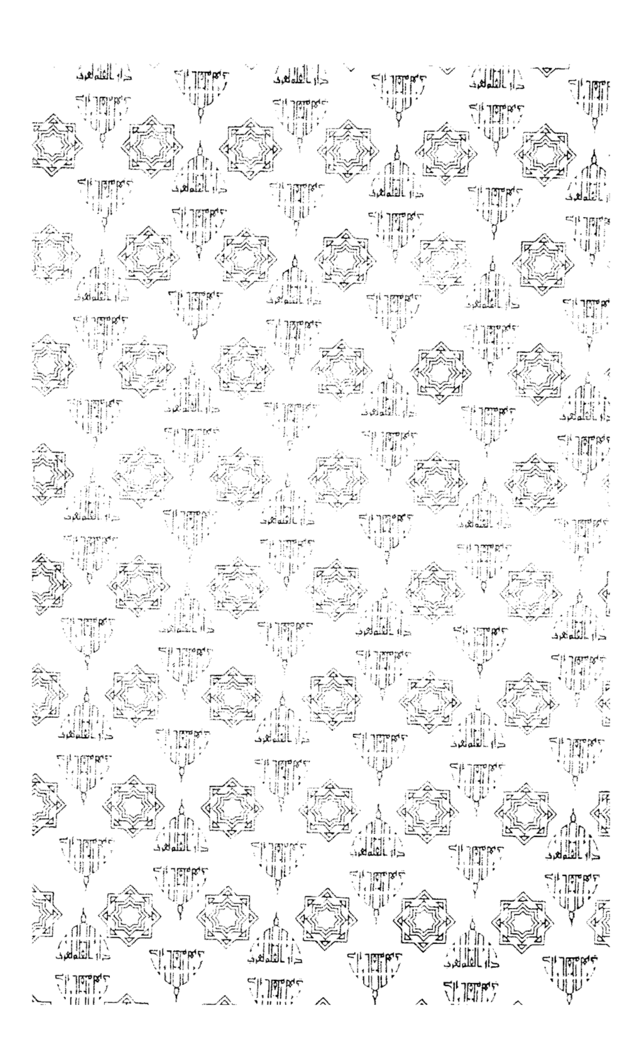
الفهـــــــرس

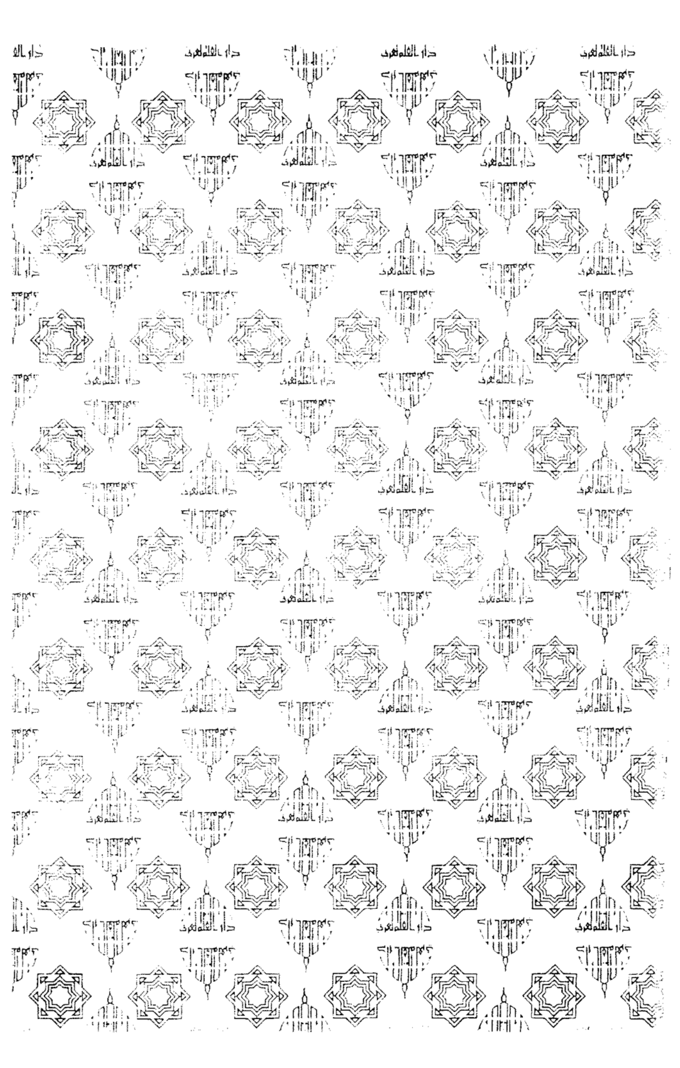
صفحة

صفحة

صفحة

صفحة





معارك عربية إسلامية خالدة

للصغار واليافعين

لم تكن الحربُ لدى العرب المسلمين غايةً لذاتها ، وإنما كانت لردّ العدوان ، ولدرء الأخطار ، ولإزاحة أولئك الذين يقفون في وجه الدعوة ويحولون د وهي معارك تشمل على بطولات وتضحيات وجود بالنفس (والجودُ غاية الجود).

ودار القلم العربي للأطفال بحلب - إذ تنشر هذه الكتب - إنما تسعى إ نفوس الأبناء حبَّ التضحيةِ والفداء ، وحبَّ ابائهم الذين بذلوا دماء شامخةً لايدّنسها مستعمرٌ غاشم.

والله من وراء القصد

الناشر



I.S.B.N: 1 - 5050 - 3

